منطقة الأفاعي الطبية

منطقة الأفاعي الطبية

"الحاوي"

رامي عبد الباقي

تصميم الغلاف: عمرو الحو

رقم الإيداع: 26871 /2018

I.S.B.N:978- 977-6640-43-6

الطبعة الأولى 2019م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

شؤون إدارية : رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

رامي عبد الباقي

منطقة الأفاعي الطبية

"الحاوي"

رواية

إهداء دائم

إلى أمي أولًا

وثانيًا

وثالثًا ورابعًا وخامسًا

وإلى ما لا نهاية

أهدي إليكِ كل شيء جيد فعلته في حياتي

وأتمنى أن أكون قد أسعدتك ولو لمرة واحدة في حياتي

إهداء خاص

إلى حبيبتي وزوجتي .. مروة

وأما قبلكِ فلم أعرف الحب

وأما بعدكِ فلا يوجد حب

إهداء خاص جداً

إلى ابنتي الحبيبة وفرحتي الأولى .. رزان

أتمنى أن تجدي في أبيكِ ما يجعلكِ فخورة به دوما

أحبكِ يا صغيرتي

تنويه هام

هذه الرواية خيالية تمامًا ولا تمت للواقع بأي صلة وأي تشابه بينها وبين أحداث حدثت أو ستحدث في الواقع فهو من قبيل الصدفة البحتة المقبولة في عالم الرواية والخيال

أي شخص يدّعي أنه رامز الدروي فهو كاذب تمامًا لأن تلك البلاد التي نحكي عنها من الصعب أن تنجب أكثر من رامز واحد فقط

أما من يدّعي أنه أي شخصية أخرى من شخصيات العمل فهو أيضا كاذب تمامًا .. ولكن عليه أن يسأل نفسه سؤالًا هامًا .. ما هو السبب الذي دعاه لمقارنة نفسه مع تلك الشخصية ؟

أفعى الكوبرا الملكية

تعتبر أفعى الكوبرا الملكية من أطول الأفاعي السامة وأشرسهم في العالم

تصيب الكوبرا الملكية العديد من الأشخاص بالخوف بسبب حجمها الضخم وشكلها المهيب وشراستها غير المسبوقة

لا تفكر أن تقف أمامها أو تواجهها. فقط حاول أن تهرب وتنجو بحياتك

قرار نقل

-مكتب دكتور باهر العميد أخصائي شئون التكليف للدفعات الجديدة فين لو سمحت ؟

ألقيت بذلك السؤال على فرد الأمن الجالس على مكتبه الصغير في بهو الاستقبال الرئيس في وزارة صحتين وعافية .. رفع الرجل نظره من على هاتفه ورفع رأسه نحوي في استياء وملامح النعاس واضحة على مقلتيه ... تنهد الرجل في ضيق شديد وكأنه يلعن كل الظروف السيئة التي يمر بها والتي أدت إلى اضطرره إلى الاستيقاظ مبكرا كل يوم والنزول من منزله إلى عمله الذي أكاد أجزم من التعبيرات المرتسمة على محياه أنه يكرهه بشدّة ولولا اضطراره إليه ما كان يجلس هنا على المقعد وهو ينظر إلى الشاب الواقف أمامه - الذي هو أنا- يسأله عن مكتب أخصائي شؤون التكليف والذي يكرهه بدوره .. أطال الرجل في نظره إلي وكأنه يفكر في إجابة سؤال المليون ريال قبل أن أكرر السؤال عليه في حدّة ليجيبني بعد برهة في هدوء مستفز:

-الدور الخامس

ما أن أعطيته ظهري لأنطلق إلى الدور الخامس حتى لاحقني بالحديث :

-الأسانسير عطلان على فكرة

توقفت ونظرت له في هدوء يضاهي هدوءه المستفز قبل أن أعطيه ابتسامة لزجة وأدير ظهري له ثانيةً وأنا أذهب برشاقة نحو السلم وأقول :

-ما سألتكش الأسانسير فين على فكرة .. كمل لعب على موبايلك

انطلقت أقفز على درجات السلم في سرعة للوصول إلى هدفي .. كانت نتيجة تكليف الدفعة الجديدة من خريجي كلية الطب في البلاد قد ظهرت منذ يومين لتُلقي بي أنا واثنين من زملائي في منطقة الجرابيع الطبية .. لم أعر النتيجة بالًا أو اهتمامًا وقمت بإخبار والدي حتى يقوم بإجراء اتصالاته ويتمكن من تعديل تكليفي لمنطقة أخرى قريبة من محل سكني .. وبالفعل قام أبي بالاتصال بدكتور باهر العميد أخصائي شئون تكليف الدفعات الجديدة وقام بتعريفه بنفسه وبأنني ابنه خريج كلية الطب الدفعة الجديدة التي تم توزيع تكليفها اليوم وطلب منه نقلي من منطقة الجرابيع الطبية التي وقعت فيها في التوزيع .. لم يكذّب الرجل خبرًا وقام على الفور بطلب حضوري إلى مكتبه في اليوم التالي حتى أتسلم خطاب تكليفي الجديد إلى الجهة التي أريدها في البلاد.

نسيت أن أقوم بتعريف نفسي لكم كعادتي دومًا .. أنا رامز محمد الدروي .. طبيب بشري حديث التخرج ونجل رجل الأعمال محمد الدروي وأنتمي لعائلة الدروي الشهيرة .. تلك العائلة التي تُعرف جيدًا في الأوساط السياسية والاقتصادية في بلادنا والتي يرّن اسمها على جميع الاصعدة ولا تجد أحد في تلك البلاد إلا وقد سمع عنها وعن دورها السياسي والاقتصادي ونفوذها الضخم المتشعب في البلاد .. كما أنني عضو في أحد الأحزاب العريقة والقوية في البلاد ولكني لا أحبذ ذكر ذلك الأمر كثيرا .. لست من هواة التباهي بعائلتي أو بوضعي الاجتماعي .. هي مرة واحدة للتعارف فقط وتعاملوا معي بعدها كرامز فقط وليس كرامز الدروي.

وصلت إلى الدور الخامس حيث يقع مكتب دكتور باهر .. تنقلت بنظري في الرواق ابحث عن حجرته حتى وجدت يافطة معلقة على باب عريض يتوسط الجدار ويأخذ نصفه على الأقل مكتوب عليها بخط

عريض " دكتور باهر العميد " وتحتها كُتب " أخصائي شئون التكليف " .. اتجهت من فوري إلى الحجرة وقمت بالطرق خفيفا على الباب المفتوح سلفا قبل أن أدلف إلى الحجرة.

جلت بنظري في الغرفة فوجدت مكتبًا صغيرًا ملقى في إحدى زواياها بغير اعتناء .. في الجدار المقابل للمكتب يقف أمامي باب ضخم آخر يضاهي الباب الذي دلفت منه فخامة وحجمًا يؤدي إلى حجرة أخرى منفصلة .. خلف ذلك المكتب الصغير تجلس سيدة محجبة حجابًا يخفي فقط الربع الأخير من شعرها الذي يبدو جلّيًا أنه تعرّض لمحاولات عديدة للصباغة بالأكسجين فنتج عنه لون أصفر فاقع لا يسر الناظرين ويتناسب مع الشعر المصبوغ وضعها لكميات مهولة من طلاء الوجه والتي تكفي كل الفنانات اللائي يحضرن مهرجان كان السينمائي وتمسك هاتفها في لهفة واهتمام وكأنّ حياتها كلها متعلقة به ومقرّبة إياه من وجهها إلى الحد الذي يجعلهما كيانًا واحدًا ممتزجًا كما تنبأ إدموند كيرش في رائعة دان براون الأخيرة

اتجهت إليها قائلا :

-صباح الخير يا فندم .. دكتور باهر موجود ؟؟

أبعدت عينيها عن هاتفها بصعوبة وكأن به مغناطيس يجذبها نحوه ورفعت رأسها تنظر إليّ بتمعنّ من قمة رأسي حتى أخمص قدميّ وكأنها تتفحص العريس المتقدم لابنتها .. أخذت تنظر إليّ قليلًا قبل أن تجيب على تساؤلي كحارس الأمن المتواجد بالأسفل بآلية وكأنه إجراء روتيني لكل موظفي وزارة صحتين وعافية مع المترددين عليها من الأطباء البائسين مثلنا وتقول :

-دكتور باهر مشغول ومش فاضي يقابل حد النهاردة .. فوت علينا بكرة أو سيب ورقة مكتوب عليها سبب الزيارة وهأبقى أعرضها على الدكتور لما يفضى

نظرت إلى هاتفها ثانيةً دون أن تنتظر رد مني وأخذت تقلّب فيه بنهم وكأنني هواء لا تراه حولها .. كتمت غيظي من عدم ردها تحيتي وردها وتعاملها البغيضين معي وابتلعت رد الإهانة لها الذى جرى على لساني سريعًا .. اقتربت من المكتب وأنا أقول :

-لو سمحتي قوليله بس دكتور رامز الدروي

رفعت عينيها من على هاتفها وهي تنظر إلي مليًا وكأنها جهاز إشعاع رنين مغناطيسي يقوم بعمل مسح كامل لي حتى وصلت لوجهي وعيني فسألتني في سماجة :

-ممكن أعرف سبب الزيارة ؟

أجبتها في نفاذ صبر:

-عاوز أعدل تكليفي من منطقة الجرابيع الطبية لأي منطقة قريبة من محل سكني

ابتسمت السيدة ابتسامة من تخطى لتوه مستوى صعبًا في لعبة كاندي كراش دون استخدام أي وسيلة مساعدة وقامت من جلستها واقتربت مني وهي تقول بجدّية مصطنعة بها نسبة لا بأس بها من التشفّي :

-مش كنت تقول كده من الأول يا دكتور .. للأسف التنقلات مقفولة بقرار من الوزير نفسه .. وبعدين احمد ربنا إنك في منطقة الجرابيع الطبية .. أمال لو كنت رحت منطقة الخنازير ولا منطقة الأبراص كنت عملت إيه ؟

سكتت السيدة قليلًا وكأنها تنتظر وقع حديثها عليّ قبل أن تضيف بحقد واضح وهي تمصمص شفاها :

-مش كفاية إننا بنشغلكوا أول ما تتخرجوا بدل ما تقعدوا تدوروا على شغل أو تتهدلوا في القطاع الخاص ولا تحاولوا تشوفوا سفرية هنا ولا هنا لدولة من دول الريالات .. عايزين كمان تتشرطوا وتغيروا الأماكن اللي اتكلفتوا فيها بمزاجكم .. مفيش حمد خالص ولا شكر كده .. عموما زي ما قلتلك من شوية دكتور باهر مشغول النهاردة ومش فاضي يشوف حد وصعب جدًا إنه يقابلك

عادت السيدة لجلستها المريحة في الكرسي وأمسكت بهاتفها تنظر إليه مرةً أخرى وهي تغمغم بصوت تعمدّت أن يكون مسموعًا بالنسبة لي :

-عيال خرعة ومدلعة ومالهاش شغل .. حقهم يتمرمطوا عشان يعرفوا إن الله حق

عند تلك اللحظة كنت قد وصلت إلى نقطة النهاية .. لا أحد يتعامل معي بتلك الطريقة وينجو من فعلته .. يتهمني العديد من أصدقائي وأفراد أسرتي بأنني ذو مزاج عصبي حاد الطباع ولا أجيد التعامل مع بقية البشر .. حاولت كثيرًا إخبارهم بأنني فقط لا أجيد التعامل مع الأغبياء منهم أو تحمّل غبائهم إلّا أنهم لم يفهمونني وأصرّوا على اتهامي كذبًا بتلك الصفة .. توجهت نحو طرف المكتب الذي تجلس وراءه تلك المرأة وجلست عليه أمامها وأنا أؤرجح ساقيّ في الهواء أمامها استفزازًا لها وأمسكت بهاتفي للاتصال بوالدي .. وقفت السيدة معترضة على فعلتي وهي تصرخ لأشير لها بأصبعي حتى تصمت ريثما أنهي مكالمتي .. لم يطل الوقت حتى أجابني أبي

أعطيت المرأة ابتسامة صفراء ردًا على حديثها السابق وأنا أحدث أبي قائلًا :

-أيوه يا بابا .. صباح الخير يا حبيبي عامل إيه ؟ أنا عند الدكتور باهر دلوقتي بس في واحدة كده شكلها السكرتيرة بتاعته ولا إيه مش عاوزة تدخلني عشان على حد كلامها هو مشغول ومش فاضي يقابل دكتور حديث التخرج زي حالاتي عشان مش قد المقام تقريبًا من وجهة نظرها وبتقولي كمان إن النقل ممنوع بقرار من الوزير..

صمت قليلًا لأستمع لحديث أبي على الهاتف قبل أن أجيبه ثانيةً :

-لا أنا مش معايا رقم دكتور باهر .. كلمه أنت كده وخليه يتصرف أو يكلمني قبل ما أمشي من هنا .. حاضر يا بابا .. مع السلامة

أنهيت المكالمة ووضعت هاتفي في جيبي قبل أن أضع قدمًا على الأخرى وأنا أصفرّ وأنظر إلى المرأة بطرف عيني .. قامت تلك السيدة من جلستها في توتر ملحوظ وهي تفرك يديها الاثنتين وأتت لتقف أمامي تقول شيئًا ما ولكن قبل أن تفتح فمها كان باب الحجرة المجاورة قد فُتح بحدّة ليخرج منه رجلٌ في متوسط العمر أشيب الشعر ويرتدين نظارة طبية أنيقة باهظة الثمن وهو يدور بعينيه يبحث عن شيءٍ ما .. ما إنّ وقع بصره عليّ حتى تقدّم مني مسرعًا وهو يبتسم مادًا يده ويقول :

-دكتور رامز .. إزاي تفضل مستني واقف بره المكتب كده .. أنت مفروض لما تيجي تخبط وتخش على طول في أي وقت وما تقفش بره تستنى إذن

قمت من جلستي ألتقط يد الرجل وأرد عليه :

-والله يا دكتور كنت هأعمل كده .. بس المدام دي ما رضيتش إنها تدخلني لحضرتك أو إنها حتى تبلغك بوجودي بره وقالتلي إن حضرتك مشغول ومش فاضي تقابل حد .. حتى لما قلتلها أنا مين ما رضيتش

تدخلني وأدتني محاضرة عن ازاي مفروض أحمد ربنا على الشغل وإنكم مشغلينا بدل ما نتهدل في الشغل الخاص ودول الريالات.

صمت لبضع ثوانٍ قبل أن أضيف بهدوء متعمدّ وأنا أنظر إليها بطرف عيني :

-وإننا عيال خرعة ومدلعة ومالناش شغل

التفت الرجل نحو المرأة التي كانت ترتجف في خوف وهو يرمقها بغيظ واضح لثوانٍ قبل أنّ يلتفت إليّ مرة أخرى ويقول :

-امسحها فيا دي يا دكتور رامز .. اتفضل يا بني معايا جوه

تقدّمت معه نحو حجرته قبل أن يلتفت إلى المرأة ويقول :

-ابعتيلي فنجانين قهوة من البن بتاعي يا مدام تراجي وجهزي طلب نقل مفتوح للدكتور رامز لو سمحتي لحد ما نخلص كلامنا مع بعض .. وما تخليش حد يدخل علينا خالص لحد ما أقولك

صمت قليلا ثم أكمل حديثه لها وهو يضغط على حروف كلماته :

-وحساب اللي عملتيه مع دكتور رامز ده بعدين .. يعني اسم الراجل ما لفتش نظرك يا بعيدة .. يلعن أبو الغباء .. ما اخدتيش بالك من اسم العيلة حتى .. عايزة تودينا في داهية وتوقعينا مع كبرات البلد

تركناها ترتجف وتبلع ريقها بصعوبة وهي لا تستطيع التحدث بكلمة ودخلنا الحجرة الخاصة به مغلقين الباب في وجهها .. جلت بنظري في الحجرة .. غرفة فاخرة وكأنها غرفة في فندق فخم ذي خمس أو سبع نجوم وليست غرفة في وزارة لموظف بها .. لا تصدق للوهلة الأولى أنها غرفة موظف عادي في وزارة العافية ليس وزيرا أو حتى أحد نوابه أو أحد قيادات الوزارة .. جهاز التكييف القوي وشاشة التلفاز الضخمة التي تتعدى الخمسين بوصة على الأقل والتي تعرض مباراة مشفرّة

والسجاد الفارسي الفاخر الملقى على الأرض والمكتب الكلاسيكي العتيق .. كل تلك الأشياء جعلتني أتساءل وبشدّة عن ما تبدو عليه غرفة الوزير

دعاني الرجل للجلوس جانبًا بعيدًا عن مكتبه على أريكة فخمة وثيرة تشي بأريحيتها .. جلست وجلس بمواجهتي وهو يسألني مبتسما :

-ها يا دكتور رامز .. طلباتك يا جميل ؟

بادلته الابتسام مجاملًا وأنا أتساءل عن سر مكالمة أبي معه والتي جعلت الرجل في منتهى الود معي .. ذلك الرجل والذي يدعونه سرًا في الوزارة دكتور باهر دي ساد تشبيها بالماركيز دي ساد من فرط تلذذه بتعذيب الخريجين الجدد وإلقائهم في المناطق النائية كمنطقة الخنازير الطبية أو منطقة الحمير الطبية وإذا كان رحيمًا بهم فيلقيهم في منطقة العرس الطبية

نفضت تلك الأفكار من رأسي وأنا أجيبه :

-ربنا يخليك يا دكتور .. والله أنا التكليف بتاعي جالي في منطقة الجرابيع الطبية وأنا ساكن في كمباوند الصفوة في حي الأفاعي الجديدة فطبعًا المنطقة بعيدة جدًا عني وده هيبقى مشوار كبير أوي بالنسبالي فكنت عاوز اتنقل لمكان قريب من البيت .. حضرتك عارف طبعًا إني جنب دراستي للطب حسب رغبة والدي فأنا بأساعده في شغل العيلة فطبعًا مشوار لمنطقة الجرابيع كل يوم ده غير المكان اللي هيرموني فيه واللي ممكن يكون أبعد من المنطقة كمان بساعة ولا اثنين هيأكل الوقت كله ازاي وده هيأثر على الشغل في الشركة وهيبقى صعب في نفس الوقت

أومأ برأسه موافقًا على حديثي ثم قال مبتسمًا وهو يبدي تفهمه :

-بس كده يا دكتور .. انت تؤمر يا باشا .. إيه رأيك تروح منطقة الأفاعي الطبية ؟

لم أكن أعلم أن هناك منطقة بهذا الاسم فسألته مكررًا :

-منطقة الأفاعي الطبية ؟

أجابني مبتسمًا :

-أيوه .. دي منطقة طبية عندنا فيها كذا مركز طبي وقريبة من كمباوند الصفوة أوي فمش هتبعد عن البيت تقريبًا وهيبقى المشوار بسيط .. بس مشكلتها إنها جنب السوق الشعبي في حي الأفاعي القديمة وإنت عارف يعني ايه سوق شعبي لو ده مش هيضايقك يعني .. اللي ماسكة المنطقة هناك الدكتورة الدكتورة قلق .. هتستريح جدًا في التعامل معاها وخصوصًا لما تعرف إنت مين ومن عيلة مين

سألته وأنا غير متأكد من سماعي جيدًا :

-الدكتورة الدكتورة قلق ؟

ضحك بشدّة قبل أن يسمح لسكرتيرته بالدخول لتضع أمامنا فنجاني القهوة على الطاولة بأيادٍ مرتعشة ووجه شاحب بلا نقطة دماء وتعطيه الورقة التي بها قرار النقل جاهزًا على توقيعه ثم ترحل سريعًا من أمامنا وكأنها تهرب من شيطانين يجلسان يتسامران بمرح على كيفية قتلها .. وضع القرار على الطاولة أمامه بجوار صينية القهوة وتناول فنجانًا من عليها ليعطيه لي .. أخذته منه شاكرًا قبل أن أسأله :

-هو أنا قلت حاجة تضحك يا دكتور ؟

هز رأسه نافيًا في سرعة وهو يجيب :

-لا خالص يا دكتور رامز بس أصل الموقف ده دايمًا يحصل لما نقول اسم الدكتورة .. هي اسمها الشخصي الدكتورة .. والدها سماها كده عشان كان نفسه ومنى عينه إنها تطلع دكتورة والبنت ما كدبتش خبر وبقت فعلا دكتورة .. وبقى اسمها في الوزارة الدكتورة الدكتورة قلق .. والدها الأستاذ قلق السعيد الموظف بتاع قضية البنك المركزي اللي كانت من فترة دي أكيد سمعت عنها

هززت رأسي وأنا أتذكر تلك القضية والتي كانت تعدّ من كبرى قضايا الاختلاسات التي شهدتها البلاد في تاريخها .. صمت قليلًا قبل أنظر إلى الرجل وأنا أقول له :

-يعني حضرتك شايف إنّ منطقة الأفاعي الطبية دي كويسة ؟ أصلي كنت عاوز أروح منطقة الأسود الطبية أو حتى منطقة النمور الطبية

أجابني مبتسمًا :

-لا يا دكتور دول بعاد عنك شوية وبعدين المنطقتين دول تحديدًا كلهم صراعات ومشاكل وحوارات كتير ووجع دماغ مالوش لازمة واحنا عاوزين نريحك في شغلك .. أنا هأكلم الدكتورة الدكتورة وأبلغها إنّ حضرتك هتروحلها بكرة بقرار النقل وهأوصيها عليك

ابتسمت موافقًا على كلامه قائلًا :

-خلاص يا دكتور اللي حضرتك شايفه .. بس كان ليا طلب عند حضرتك .. أرجوك ما تقولش للدكتورة الدكتورة أنا مين أو ابن مين .. أنا بحب الناس تتعامل معايا كدكتور رامز وبس .. مش ابن الدروي

ابتسم الرجل في انبهار قد يكون كاذبًا وهو يقول :

-ابن أصول صحيح يا دكتور .. عموما برضه هأوصيها عليك كأني صديق لوالدك

قال جملته الأخيرة وهو يغمز بعينه اليمنى قبل أن يذيل بتوقيعه قرار نقلي من منطقة الخنازير الطبية إلى منطقة الأفاعي الطبية

***

أفعى الجرذ الأسود

يصل طول تلك الأفعى لحوالي الثمانية أقدام مما يجعلها من أكبر الأفاعي في العالم

تجيد التمويه عن طريق لونها للحماية من أعدائها نظرًا لأنها من الأفاعي غير السامة

فقط حجمها قد يجعلك بحاجة لتغيير سروالك

استلام العمل

في اليوم التالي استيقظت مبكرًا استعدادًا لتنفيذ قرار نقلي إلى منطقة الأفاعي الطبية وأستلم العمل هناك .. كنت قد قررت بالأمس أن أترك سيارتي وأتحرك على قدمي نحو المنطقة حتى أتعرف على المكان جيدًا وخوفًا من عدم وجود مكان لركن سيارتي به.

خرجت من الكمباوند مبكرًا وأنا ألقي التحية الصباحية المعتادة على أفراد الأمن وأنطلق نحو السوق القديم .. تصرُّ أمي على إحضار متطلبات المنزل من السوق نفسه وليس من أي تاجر من الكمباوند .. تقول لي بأنها تعشق أن تنتقي الخضروات والفواكه بنفسها لا أن تجد أمامها البضاعة معروضة وتقوم هي فقط بملء الأكياس .. جادلتها أنا وأبي مرات عديدة قبل أن نرضخ لرأيها في النهاية كالمعتاد ونتركها تفعل ما تريد.

دائمًا ما يكون السوق مزدحمًا .. لا يهم التوقيت الذي ستكون متواجدًا فيه .. من الفجر إلى الفجر تدّبُ فيه الحياة .. من بعد الفجر تصل عربات نقل الخضروات والفواكه من تجار الجملة وتقوم بتوزيع بضاعتها على التجار الصغار حتى نهاية اليوم وفي النهار والليل يمتلئ السوق بالرجال والنساء والأطفال يقومون بشراء حاجياتهم اليومية ويتشاحنون مع الباعة الذي يرون أنهم استغلاليون .. اتجهت إلى أحد الصبية المنهمكين في إنزال صناديق الفواكه لأسأله عن مكان منطقة الأفاعي الطبية.

نظر إليّ الصبي في استنكار وعدم تصديق من كوني لا أعرف أين تقع منطقة الأفاعي الطبية قبل أن يخبرني بالسير في خط مستقيم وسوف أجدها في نهاية السوق على يساري

شكرته مبتسمًا وأكملت طريقي كما وصف لي لأصل إلى مبنى كبير يقع في نهاية السوق بعد حوالي عشر دقائق من السير

وقفت أمام المبنى لحظات لتأمله .. مبنى كبير لكنه ليس بالضخم يتكون من ثلاثة طوابق .. طابق أرضي ودورين يقبعان أعلاه تعلوه يافطة كبيرة معنون عليها منطقة الأفاعي الطبية ويقع تحتها يافطة أقل في الحجم معنون عليها مركز صحة الأسرة بحي الأفاعي .. ويبدو أن المبنى قد تم إنشائه حديثًا أو تم تجديده منذ فترة وجيزة فقط

سألت أحد الجالسين على الباب عن مكتب مديرة عام المنطقة الدكتورة الدكتورة قلق فأخبرني بتواجده في الدور الأول .. شكرته واتجهت من فوري إليه

لا يختلف المبنى من الداخل عن الخارج بكثير .. مبنى فخم مكسو بالرخام الباهظ الثمن ومضاء بأضواء ليد شديدة السطوع .. لا بد أن تكلفة إنشائه قد قاربت المليونين على الأقل

وجدت على يساري رواق منفصل تقع بداخله غرفة على اليسار معلّق على الجدار المجاور لها يافطة كبرى كُتب عليها " مدير عام المنطقة " تجلس أمامها إحدى العاملات البسيطات وهي تحارب النعاس الذي يزور عينيها من الملل القابعة فيه

اتجهت إليها مبتسمًا وأنا أقول :

-صباح الخير .. الدكتورة الدكتورة موجودة ؟

نظرت إلي بنصف عين وأجابت :

-الدكتورة الدكتورة بتصلي .. أؤمر ؟

نظرت إلى الساعة لأجدها لم تتجاوز العاشرة صباحًا مما يعني عدم وجود صلاة في هذا الوقت إلا أنني تغاضيت عن ذلك الأمر وأنا أجيبها :

-أنا دكتور تكليف جديد وجاي أستلم الشغل هنا

أجابتني وكأنها معتادة على الأمر:

-حضرتك هتنزل المنطقة تحت للأستاذة حنان العكر مديرة شئون العاملين هتسلمك الشغل في المنطقة وبعد كده تشوف انت تبع أنهي مكان

سألتها في عدم فهم :

-يعني إيه أي مكان ؟ هي مش المنطقة واحدة

أجابتني في ضيق من كثرة أسئلتي :

-المنطقة هنا تحتها 3 أماكن .. مركز صحة الأسرة بحي الأفاعي وعيادة أحياء الأفاعي وعيادة رعاية أطفال الأفاعي .. حضرتك هتستلم في المنطقة وبعد كده يوزعوك على واحدة منهم

نطقت بكلمتها الأخيرة قبل أن تقوم من جلستها وتستأذن للذهاب لإحضار شيء ما

نظرت لقرار النقل في يدي لأجد أن القرار يشمل النقل إلى منطقة الأفاعي الطبية فقط وغير محدد المركز أو العيادة التابع لها .. اغتظت قليلا من الأمر وفكرت في الاتصال بدكتور باهر العميد ولكنني أرجأت التصرف حتى أرى ما سيحدث هنا أولًا

نزلت إلى الدور الأرضي لأجد أمامي مباشرة حجرة شئون العاملين .. طرقت باب الحجرة ودلفت إليها لأجد أربعة موظفات يجلسن خلف مكاتبهن .. اثنتان منهن كن يقرأن القرآن وواحدة كانت تصلي هي الأخرى صلاة لا أدري كنهها والأخيرة كانت تلعب بهاتفها المحمول

ألقيت التحية وسألت عن الأستاذة حنان لأجد التي كانت تلعب على الهاتف تنظر نحوي وتقول :

-أؤمر

ابتسمت لها واتجهت إليها قائلًا :

-ما يؤمرش عليكي ظالم .. أنا دكتور تكليف جديد وجاي أستلم الشغل في المنطقة

مدت يدها نحوي وهي تسألني :

-القرار فين يا دكتور ؟

أعطيتها القرار فأخذته مني وأخت تقرأه على مهل قبل أن ترتسم ابتسامة جانبية مريبة على وجهها وكأنها وجدت خطب ما يعطل استلامي العمل .. رفعت رأسها نحوي في بطء مستفز وهي تقول :

-القرار مش موجود فيه المكان اللي تبع المنطقة يا دكتور

أجبتها :

-لاحظت ده يا فندم النهاردة .. ممكن يكون دكتور باهر العميد نسي يكتبه إمبارح .. عموما احنا فيها

أخرجت هاتفي من جيبي وأنا أكمل في بساطة :

-تحبي حضرتك أكلمهولك تسأليه ؟ عموما هو هيقولك تودّيني أفضل مكان في المنطقة هنا .. دكتور باهر يبقى صديق شخصي لوالدي

وجدتها تندهش من ردّة فعلي قبل أن تتراجع قليلًا في مقعدها خوفًا من حديثي وتقول :

-لا لا يا دكتور هنتعب دكتور باهر ليه بس ده حضرتك الخير والبركة .. أنا هاكتب لحضرتك إن مقر عملك هيكون هنا جنبنا في مركز صحة الأسرة بالأفاعي .. أهو أقربلك شوية من عيادة أحياء الأفاعي وعيادة رعاية أطفال الأفاعي

ابتسمت وكأنها تسدي لي خدمة كبيرة لأبادلها الابتسام وأنا أقول :

-ربنا يخليكي لينا يا أستاذة حنان .. مش محتاج أقول لحضرتك إن أي حاجة تحتاجيها بعد كده أنا موجود

ردت في سرعة :

-ربنا يكرمك يا دكتور ما هو ده العشم برضه .. اتفضل حضرتك لحد ما أكملك إجراءات استلام العمل

جلست أمامها وتركتها تملئ بعض الأوراق .. حزنت قليلًا من استغلالي لاسم دكتور باهر العميد ولكني لم أكن سأقبل بأن أذهب إليه مرة أخرى حتى يعدل لي القرار .. أكملت المرأة إكمال الأوراق أمامها قبل أن تطلب توقيعي على ورقة منهم وتعطيها لي بعد ذلك وهي تقول لي وابتسامة عريضة تعلو وجهها :

-كده حضرتك استلمت العمل في المنطقة .. هتروح بقى لمكتب شئون العاملين في المركز عند الأستاذة فادية الرهوان هتسلمك الشغل في المركز .. الأوضة بتاعتها جنب أوضة مديرة المركز الدكتورة تقى علي عيسى

أخذت منها قرار استلام العمل وأنا أشكرها لأتجه من جديد إلى الدور الأول ولكن صوب مكتب مديرة شئون العاملين بالمركز تلك المرة وليس حجرة مدير عام المنطقة

وجدت حجرتها على يميني بجوار حجرة مديرة المركز .. كان الباب مغلقًا فطرقته وانتظرت السماح لي بالدخول ولكن لم يجبني أحد .. طرقته مرة أخرى ثم حاولت فتحه لأجده مغلقًا من الداخل. نظرت حولي لأجد من أسأله عن ذلك ولكنني لم أجد غير المرضى يفترشون أرضية الرواق المقابل والذي يبدو أن العيادات تتواجد به .. اتخذت قراري سريعًا وطرقت حجرة مديرة المركز ودخلت

حجرة واسعة في نهايتها مكتب كبير تجلس عليه سيدتان ترتديان البالطو الأبيض .. كانت إحداهن طويلة القامة وعريضة البنية بالشكل الذي يوحي أنها تمارس إحدى الرياضات بانتظام بينما كانت الأخرى متوسطة الطول وترتدي الحجاب .. ذهبت نحوهما وأنا أقول :

-صباح الخير .. دكتور تقى علي عيسى موجودة ؟

أجابتني السيدة الطويلة :

-أيوه يا فندم .. أؤمرني ؟

ابتسمت وأنا أجيبها :

-ربنا يخليكي يا فندم أنا دكتور رامز محمد طبيب تكليف جديد وجاي أستلم الشغل هنا في المركز

قامت تقى من مقعدها وهي تمد يدها نحوي بالسلام قائلة :

-أهلا أهلا يا دكتور .. شرفت المكان ويا رب تنبسط معانا هنا

تجمدت للحظة قبل أن ألتقط يدها لأرد تحيتها .. كنت دائمًا أعاني بسبب السلام بالأيدي مع النساء .. مرات عديدة مددت يدي بالسلام وتم إحراجي بواسطة بعضهن حتى قررت بعد ذلك أن لا أمد يدي للسلام على امرأة إلا إذا بادرت هي بالتحية .. كنت قد ترددت بالسلام على الدكتورة تقى حتى لا أتعرض لنفس الموقف مرة أخرى

أحست تقى بترددي بعض الشيء فضحكت وهي تقول لتزيل توتري:

-سلم عليا عادي يا دكتور .. أنا مش مكلكعة ولا حاجة

ابتسمت وأنا أجيبها :

-معلهش والله يا دكتور أصلي اتكسفت كتير قبل كده بسبب موضوع السلام ده

أشارت لي بالجلوس وهي تقول :

-لا عادي ولا يهمك انت لسه ما تعرفناش

قلت لها في سرعة :

-إن شاء الله يا دكتور هتبقى معرفة خير

أجابتني في صدق :

-إن شاء الله

مدت يدها نحوي طلبًا للقرار فأعطيته إياها قبل أن تنادي على مدام فادية الرهوان من الحجرة المجاورة المغلقة لأجدها تخرج منها !!

أشارت لي تقى وهي تخاطب فادية قائلة :

-الدكتور رامز دكتور بشري جديد معانا يا مدام فادية .. لو سمحتي خلصيله إجراءات استلام شغله ولو ما فيهاش تكليف خلي أم دعدور تعملنا طقم نسكافيه

نظرت لها وأنا أقول :

-شكرا يا دكتور ما فيش لزوم لتعب حضرتك

أجابتني في سرعة :

-ما فيش تعب ولا حاجة .. انت بخيل ولا إيه .. على مدام فادية ما تخلصلك ورقك هنشرب النسكافيه على ما أشرحلك الدنيا ماشية إزاي عندنا في المركز

أحسست براحة نفسية تجاه تلك المرأة على الرغم من عدم مرور دقائق خمس على أول لقاء لي بها .. بساطتها في التعامل والحديث يجبر أي شخص على إحترامها بل وتنفيذ أي طلب لها بعد ذلك

نظرت لها وأنا أقول :

-خلاص يا دكتور .. وأنا تحت أمرك

ابتسمت وهي تقول :

-تمام يا دكتور رامز .. أنا دكتورة تقى علي عيسى مديرة المركز هنا .. احنا الشغل عندنا هنا ينطبق عليه المواعيد الحكومية يعني من الساعة 8 للساعة 2 الظهر بس بيكون في تجاوز في الإمضاء الصبح لحد الساعة 9 والانصراف بيكون على الساعة اتنين إلا ربع .. حضرتك هتكون في عيادة الباطنة أو الأطفال عشان أعتقد هيبقى صعب عليك إنك تكشف في عيادة النسا .. الكشف المجاني بيبدأ من الساعة 9 لحد الساعة 11 وبعد كده هيبقى في كشف اقتصادي من الساعة 11 لحد الانصراف

دخل علينا شخص وبيده بعض الأوراق فأخذتها تقى منه وهي توقعها وتختمها وتسلمه إياها من جديد ثم أكملت :

-الشغل مش كتير عندنا .. الفترة المجانية بس هي فترة الشغل تقريبا .. العيانين ما بيحبوش يكشفوا اقتصادي عشان العلاج بيبقى من بره فبيستنوا لليوم الثاني عشان يكشفوا وياخدوا العلاج ببلاش

على التذكرة المجاني .. حضرتك بعد ما تخلص شغلك ممكن تقعد في عيادتك أو تشرفني هنا في المكتب زي ما تحب

أتت مدام فادية من حجرتها وهي تطلب توقيعي على قرار استلام عملي بالمركز فوقعته وسلمته إياها والتفت إلى الدكتورة تقى مرة أخرى التي أعطتها مدام فادية بدورها الأوراق لتقوم بالتوقيع عليها .. أخذتها منها وهي تكمل حديثها لي قائلة :

-المركز هنا فيه عيادة باطنة وعيادة أطفال وعيادة نسا ومتابعة حوامل وعيادة أسنان ومعمل وصيدلية ومكتب صحة ملحق بيه مكتب تطعيمات .. المنطقة معانا هنا في نفس المكان واخدين الدور الأرضى ومديرة المنطقة مكتبها قدامي وليهم مكتب فوق موجود فيه المديرين المساعدين ودول اللي بيكونوا ماسكين الإدارات الفرعية في المنطقة .. أنا مديرة المركز هنا ومفتشة الصحة كمان يعني ممكن تفكني باثنين رسمي وممكن كمان بأربعة على حسب الشغل

ضحكت على دعابتها وأنا أقول :

-واضح يا دكتور

أكملت في ود :

-طبعا حضرتك عارف إننا عندنا فترتين عمل .. فترة صباحية من 8 الصبح ل 2 الضهر وفترة مسائية أو نباطشية من 2 الظهر ل 8 بالليل .. النباطشيات بتتعمل أول كل شهر مع رئيس القسم .. حضرتك هتكون مع دكتورة شادية المزقطط هي اللي بتضبط الأمور مع كل الدكاترة ده غير إننا بننزل يوم الجمعة والأجازات الرسمية .. دي بتكون بنظام الروتة بين الدكاترة وبيكون ليها يوم أجازة كبدل راحة أو مقابل مادي

صمتت تقى بغتة وانتبهت أنها لم تعرف السيدة الجالسة بجوارها حتى الآن لي فالتفتت إليها سريعًا وهي تقول :

-طبعا دكتورة عفت إسماعيل هي نايبتي لو مش موجودة .. دكتورة عفت طبيبة أسنان ونايبة المركز بتاعتي لو أنا مش موجودة أو طلعت حالة وفاة أو كده

ابتسمت دكتورة عفت في برود وهي تنظر إليّ مرحبة بوجودي بينهم في المركز ومتمنية لي التوفيق معهم بينما كنت أجاهد نفسي لعدم الابتسام أمامهما .. لا أعرف إن كانت تقى قد استعملت لفظ " نائبتي " عن عمد أم لا .. عمومًا ستحسم الأيام القادمة هذا الأمر

تقدمت نحونا إحدى العاملات رجحت أنها أم دعدور لأنها كانت تحمل أكواب النسكافيه الساخنة .. وضعتها أمامنا على المكتب وهي تسأل تقى إن كانت تريد أي شيء آخر فشكرتها لتنصرف المرأة لعملها

أمسكت كوب النسكافيه وارتشفت بعضًا منه قبل أن تكمل تقى :

-ده النظام الأساسي يا دكتور رامز وانت هتعرف كل حاجة بمرور الوقت .. ممكن حضرتك لو تحب تكمل اليوم معانا النهاردة أو ممكن تتفضل ونبدأ من بكرة إن شاء الله وأي حاجة تحتاجها أو تعوز تسأل عليها أو أي مشاكل تواجهك فأنا موجودة دايمًا وما تتكسفش مني

أجبتها في صدق :

-ربنا يخلي حضرتك يا دكتور وإن شاء الله ما يكونش في مشاكل خالص

نطقت تلك العبارة ولم أكن أعلم مدى صحتها في تلك اللحظة

***

الأفعى المشبكية الآسيوية

من الأفاعي المثير جدا للاهتمام بسبب جمال شكلها والذي يبهر الجميع

خذ حذرك جيد فعلى الرغم من كونها غير سامة فقد تودي بحياتك عن طريق الالتفاف حولك .. وخنقك

اليوم الأول

مبكرًا وفي تمام الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي كنت أجتاز بوابة منطقة الأفاعي الطبية حيث مقر عملي الجديد .. دخلت المبنى لأجد المرضى مفترشين الطرقات والسلالم في انتظار بدء العمل وقطع التذاكر المجانية .. وجوه أضنتها الحياة ورسمت على ملامحها علامات التعب والإعياء جاءوا منذ الصباح لمحاولة الحصول على علاج شبه مجاني يسكن قليلًا من آلامهم وأوجاعهم ولكنه لا يشفيها

صعدت السلم بسرعة في اتجاه مكتب الدكتورة تقى حتى أوقع حضوري في دفتر الحضور والانصراف .. دخلت الحجرة فوجدت الدكتورة عفت إسماعيل نائبة تقى تجلس مكانها على الكرسي الخاص بها وراء المكتب .. ابتسمت وأنا متجه نحوها قائلًا :

-صباح الخير يا دكتور .. أمال دكتورة تقى فين ؟

نظرت نحوي ببرود جعلني موقنًا أنه سمة وطبع شخصي فيها قائلة:

-الدكتورة تقى مش جاية النهاردة .. عندها استدعاء في النيابة الإدارية بسبب مشكلة في مكتب الصحة

صمتت ثانية ثم أكملت بحدّة :

-خير.. في حاجة ؟؟

فوجئت من نبرتها العدائية غير المبررة في الحديث معي ولكنني لم أعرها أهمية وأمسكت القلم ووقعت أمام اسمي في خانة الحضور وأنا أقول :

-ما فيش حاجة يا دكتور .. أنا بس استغربت إن الدكتورة تقى مش موجودة

وجدتها تعدل من جلستها لتجلس بأريحية وهي تقول :

-ربنا يكون في عونها .. يعني ماسكة المركز ومكتب الصحة وما فيش حد بيعمل حاجة إلا لما يجيلها ويسألها .. شايلة المكان كله لوحدها وفوق كل ده أي مشكلة بتيجي على دماغها .. ما فيش حد بيساعد خالص من الصغيرين وكله رامي الحمل عليها هي لوحدها

قررت إيقاف الحديث مع تلك المرأة عند هذه النقطة .. أحسست أنها تحاول كسب نقاط لدى تقى ربما بالدفاع الكاذب عنها أو تعظيم أفعالها وأنا لا أحب التورط في تلك النوعية من الأحاديث .. أعدت تحية الصباح عليها وأنا أقول :

-ربنا يكون في عونها وعونكم جميعًا .. صباح الخير مرة ثانية وعن إذن حضرتك

استدرت لأترك الغرفة باتجاه عيادة الباطنة في انتظار بدء العمل .. اجتزت الرواق الطويل لأجد على يميني ويساري العيادات المختلفة من أسنان ونساء ومتابعة حوامل ومعمل التحاليل حتى وجدت حجرة معلق بجوارها يافطة مكتوب عليها عيادة الباطنة

دخلت الحجرة وارتديت البالطو الأبيض الخاص بي وجلست على المكتب في انتظار حضور بقية الفريق الطبي .. أخرجت هاتفي وأخذت أكمل قراءة قانون العمل الخاص بالمنشآت الطبية .. كان شقيقي حسن قد أرسله لي عندما علم بتكليفي بوزارة صحتين وعافية وشدّد على أهمية قراءته حتى أعرف حقوقي جيدًا .. يهتم حسن كثيرًا بتلك النقاط الحقوقية أعتقد أنه وُلد وهو يرتدي روب المحاماة الأسود ويترافع أمام الأطباء الذين قاموا بتوليده !!

بعد حوالي نصف الساعة بدأ المرضى في الصعود لحجرات الكشف .. دخل عليّ بالعيادة قرابة العشر مرضى وهم يحملون

تذاكرهم ويمدون أيديهم بها نحوي .. ارتبكت للحظات من الموقف قبل أن أنهض وأقول لهم :

-معلهش بس يا جماعة ممكن نستنى ثواني لما التمريض أو دكتور قديم ييجي .. أنا لسه دكتور جديد هنا والنهاردة أول يوم ليا وخايف ألخبطلكم تذاكركم أو أضيعها

وجدت إحدى السيدات تنظر نحو بقية المرضى وتقول :

-خلاص يا جماعة هاتوا التذاكر أنا هألمها وأرتبها باللي جه الأول عشان ما نتعبش الدكتور

قاطعتها مسرعًا :

-ما فيش تعب والله يا فندم أنا بس لسه ما أعرفش نظام التذاكر إزاي ومش عاوز أعمل حاجة غلط تعطلكم

ابتسمت لي السيدة وهي تقول :

-ولا يهمك يا دكتور احنا متعودين على كده .. أنا هألم التذاكر لحد مدام خوخة ما تيجي وتاخدهم مني عشان تسجلهم

قالت كلمتها الأخيرة وانسحبت مع بقية المرضى من الغرفة وهي تأخذ التذاكر منهم وتقوم بترتيبها حسب أسبقية الحضور وبالدور

بعد قرابة النصف ساعة دخلت الحجرة فتاة في متوسط العمر .. متوسطة الطول .. غير محجبة وتعقد شعرها على هيئة ذيل الحصان .. أعتقد أنها تكبرني بعامين أو ثلاثة أعوام على أقصى تقدير

ابتسمت عندما رأتني وقالت :

-صباح الخير .. أكيد حضرتك دكتور رامز الدكتور الجديد معانا

رددت عليها التحية قائلا :

-صباح الخير يا دكتور .. أيوه أنا رامز

ابتسمت وهي ترتدي البالطو الخاص بها وتقول :

-أنا دكتورة ديانا زميلتك هنا في عيادة الباطنة .. هي مدام خوخة لسه ما جتش ؟

هززت رأسي بالنفي فأخرجت هاتفها وقامت بالاتصال برقم ما وانتظرت ثوانٍ قليلة حتى سمعت صوتًا من الجهة الأخرى وقالت :

-إيه يا خوخة انتي فين ؟؟ الناس جم بره وعاوزين نخلص بسرعة .. يلا انزلي

أنهت المكالمة فاستدارت لي وهي تقول :

-هو التمريض دايمًا كده .. لازم تكون على دماغهم عشان يشتغلوا .. لو سبتهم مش هينزلوا من السكن بتاعهم قبل الساعة 10

ذهبت ديانا إلى دولاب مغلق وفتحته بمفتاح بحوزتها لتخرج سماعتين طبيتين ألقت لي بواحدة وهي تقول :

-الكشف هنا سهل جدًا يا رامز .. معظم الناس عندها برد أو حساسية على الصدر .. هنكشف عليهم كشف ظاهري عشان ما عندناش الإمكانيات هنا للتعامل مع أي حاجة ثانية .. قائمة الأدوية والتحاليل الموجودة في المركز هتلاقيها في الورقة دي المحطوطة قدامك على المكتب .. لو شكيت في أي حاجة خطيرة حول المريض على طول للمستشفى المركزي في شارع الكوبرا

أشارت إلى ورقة متوسطة الحجم فأمسكت بها ومررت عيني عليها سريعًا قبل أن أسألها :

-بس كده ؟

أجابت ببساطة :

-أه .. بس كده .. الدنيا بسيطة

اقتربت مني وهي تخفض من صوتها وتكمل :

-بص يا رامز .. هنا شغل حكومة ما حدش يهمه حاجة غير إنك تكون موجود ولابس البالطو وما تسيبش المركز في وقت الشغل ويكون ورق شغلك متستف .. وبس .. ما حدش هيهمه شغلك كويس ولا لأ ولا حد هيهتم انت عملت ايه وما عملتش ايه المهم إنك تشتغل أصلا

تذكرت حديث حسن معي بالأمس .. قال نفس المعنى الذي قالته ديانا تقريبًا .. العمل الحكومي يختلف عن العمل الخاص .. العمل الحكومي فقط تواجد والتزام وورق مضبوط فقط لا غير .. لا ترهق نفسك في العمل فمن يعمل كمن لا يعمل في العمل العام .. فقط تقدير معنوي إن وُجد وهو لا يهم أمثالنا كثيرًا .. ربما لأجل هذا أصرّ حسن أن أقرأ قانون العمل كاملًا.

لم تمر خمس دقائق حتى دخلت الحجرة امرأة عرفت من زيها الأبيض أنها مدام خوخة التمريض الخاص بعيادة الباطنة .. ما إن دخلت حتى قالت بصوت مرتفع نسبيًا :

-صباح الفل يا دكتورة ديانا يا ست الكل .. نهارنا أبيض إن شاء الله

ثم استدارت إلي وهي تكمل :

-أكيد حضرتك دكتور رامز الدكتور الجديد

أومأت برأسي إيجابًا وقبل أن أتكلم وجدتها تكمل :

-بسم الله ما شاء الله .. أيوه كده بقى خليهم يبعتولنا دكاترة حلوين .. هو حضرتك متجوز ؟؟

صعقت من تطفلها في أول لحظات مقابلتها معي وسؤالها الشخصي الذي لا يخص أحد غيري وصمت لثوانٍ قبل أن أقول :

-لا والله لسه ما حصلش نصيب

ضحكت بمكر وهي تقول :

-إن شاء الله يكون نصيبك معانا هنا

أسكتتها ديانا وهي تقول :

-بطلي لت وعجن يا خوخة ويلا جهزي العيادة خلينا نخلص شغلنا بدري

ضحكت وذهبت لتأخذ التذاكر من المريضة التي كانت قد تولت مهمة تجميع التذاكر من بقية المرضى ثم راحت تتأكد من سلامة جهاز الضغط والميزان الموجودين بالحجرة قبل أن نبدأ عملية الكشف على المرضى

بدأت عملية الكشف في سهولة .. كانت خوخة تدخل مريضين في المرة الواحدة واحد معي والآخر مع ديانا .. وجدت بالفعل أن معظم المرضى يشتكون من حساسية على الصدر أو يريدون أخذ العلاج الأسبوعي لمرض السكر أو الضغط

استمرت عملية الكشف مكثفة قرابة الساعة قبل أن أجد الباب يفتح وتدخل منه امرأة غريبة لا أعرفها

امرأة متوسطة الطول .. نحيفة .. ترتدي نظارة طبية عفى عليها الزمن .. لاحظت ديانا وجودها ولكنها لم تعرها اهتمامًا واستمرت في

الكشف على المرضى .. لم تلقِ المرأة تحية أو حتى تتحدث .. فقط أمسكت بقلمها وراحت تخط بعض الكلمات في دفتر بحوذتها وهي ترمي كل جزء من أجزاء الحجرة بنظرة خاطفة قبل أن يتوقف بصرها عليّ

وجدتها تقترب مني وهي كالضبع عندما يقترب من فريسة يظنها سهلة المنال وتقول :

-فين الآي دي يا دكتور ؟

رفعت نظري إليها وأنا أسألها في عدم فهم :

-آي دي إيه يا فندم .. مين حضرتك أصلا ؟

يبدو أن سؤالي لم يكن على هواها وكأنني ذكرت سيرة والدتها بسوء .. وجدتها تشد قامتها وملامح وجهها يكتسي باللون الأحمر من الغضب وتقول بصوت مرتفع أمام الجميع :

-يعني إيه أنا مين ؟؟ حضرتك إزاي ما تعرفنيش .. أنا الدكتورة إلحاد شفيق يا راجل مدير إدارة خلوا بالكم وأنا المرور على المركز النهاردة .. انت ازاي مش لابس الآي دي يا دكتور .. فين الالتزام واحترام المكان اللي انت شغال فيه ؟ انت شايف نفسك شغال في الشارع يا دكتور ولا إيه ؟

لم أحتمل تلك العجرفة الكاذبة والصوت المرتفع والإهانة المتعمدة التي تخرج من فم تلك السيدة فهببتُ من مقعدي بعنف وأنا أقول بحدّة :

-أهلا بحضرتك يا دكتورة .. أنا لسه مستلم الشغل إمبارح وما أعرفش حضرتك وما حدش قالي على الآي دي ده وعدم وجوده معايا ما يديش الحق لحضرتك إنك ترفعي صوتك وتزعقي وتهنيني بالشكل ده وانتي بتتكلمي معايا .. مفروض يكون في احترام في الكلام عن كده ..

احنا اللي بينا قانون عمل وبس .. حضرتك لو شايفاني غلطان أو مقصر حوليني للتحقيق إنما إنك ترفعي صوتك عليا .....

صمت ثانية قبل أن أستطرد في الحديث وأنا أزيد من نبرة صوتي قائلًا :

-فده مش هأسمح بيه أبدًا يا دكتورة وهأشتكي حضرتك في المديرية والوزارة نفسها ومش هأكتفي بكده وهأعمل لحضرتك محضر سب وقذف في القسم وهأقوم الدنيا ومش هأقعدها

تجمدّت المرأة مكانها للحظات من ردّة فعلي .. يبدو أنها لم تعتدّ في هذا المكان أن يرفع أحدهم صوته عليها أو يرفض إهانتها .. وجدتها بعد برهة تلملم كرامتها المبعثرة وتغادر الحجرة من دون أن تنطق بأي كلمة

بمجرد خروجها التفتت لي ديانا وهي مبتسمة ابتسامة رضا وقالت :

-لأ بجد برافو يا رامز .. عجبتني جدًا

جلست وأنا أحاول أن أقوم بتهدئة نفسي وأقول :

-عجبتك إيه بس يا ديانا .. مين الست الغريبة اللي شبه القلم الرصاص دي ؟ .. وداخلة زي الشاويش كده ليه تتصيد الأخطاء على الصبح وتزعق فينا وكأننا شغالين عند اللي خلفوها .. احنا كاشفين لحد دلوقتي على فوق الخمسين عيان .. هي دي شكرًا بتاعتهم اللي مش عاوزينها أصلا ؟

ابتسمت بسخرية وهي تقول :

-بص يا رامز .. مشكلتنا هنا إحنا الدكاترة الصغيرين بتتلخص إن المنطقة والدكاترة المساعدين مديري الإدارات معانا في نفس المكان .. كل يوم واحدة فيهم بتكون هي المرور علينا وطبعًا كل واحدة بالنسبة ليها لازم تلاقي غلطات من الهوا بأي شكل علشان يبان إنها بتشتغل

قدام الدكتورة الدكتورة قلق .. ولو مالقتش غلطات هتفتعل معاك مشكلة عشان تمسك عليك أي حاجة .. هم مش بيحسوا بالرضا غير لما يعملوا كده ويقرفونا في عيشتنا

نظرت حولها لتتأكد أن خوخة ليست بجوارنا قبل أن تكمل :

-ده غير إنهم بيكرهوا الدكتورة تقى وما بيحبوهاش لأنها أكبر منهم كلهم في المكانة العلمية .. هي معاها ماجستير إدارة مستشفيات وهم شغالين بالبكالوريوس اللي معاهم اللي عفى عليه الزمن ده .. ده غير إنها ما بتمسحش جوخ للدكتورة الدكتورة زيهم

أرجعت رأسي للوراء وأنا أقول :

-الله أكبر .. يعني ناس متصيدين للأخطاء سواء لمديرة المركز أو للدكاترة

أشارت بإبهامها مؤيدة وقالت :

-بالضبط كده .. وأراهنك إنها هتعمل دشني كمان شوية

سألتها في عدم فهم :

-إيه الدشني ده ؟

أجابت :

-ده تفتيش مفاجئ على الدكاترة عشان يشوفوا لو حد زوغ .. كان بيتعمل الأول على الأسنان بس عشان معظمهم بيزوغ بس بقى بيتعمل علي أي حد مش عاجبهم

أشارت لي وهي تكمل :

-وانت بعد اللي عملته ده ومع واحدة معدودة من الكبار بتوعهم واللي أكيد وصل لبقيتهم فوق فأنت أكيد اتحطيت في البلاك ليست .. ومن أول يوم شغل ليك اتعلم عليك خلاص

ضحكت مع جملتها الأخيرة فبادلتها الضحكات قبل أن أقول :

-بداية مشرقة بالتفاؤل ما شاء الله .. وأنا اللي كنت بقول لنفسي إني مش هأستريح في التعامل في منطقة الخنازير الطبية عشان كده اتنقلت لمنطقة الأفاعي الطبية .. ألاقي كل الحاجات الحلوة دي مستنياني ومن أول يوم كمان

صمت برهة ثم أكملت :

-بصي يا ديانا خلينا نكمل شغلنا وبعدين عاوزك تحكيلي كل حاجة عن الدكاترة المساعدين دول .. يطلعوا مين وشغلتهم إيه بالضبط في المكان ده غير شغل المصاطب والتعليق على غلطات الناس التانيين

ابتسمت وهي تومئ برأسها موافقة وتقول في سخرية :

-تمام .. نخلص شغلنا وهأحكيلك عن المديرين المساعدين وإداراتهم في منطقة الأفاعي الطبية العزيزة قوي قوي قوي قووووووي

***

الأفعى نحاسية الرأس

تُلقّب أيضًا بالأفعى الخفية نظرًا لأنها تستخدم لونها في عملية التمويه حتى تبقى بعيدًا عن أعدائها

ولكنك أيضا بحاجة إلى الحذر منها

ولا تراهن على خجلها

عن منطقة الأفاعي الطبية

ما إن دقت عقارب الساعة الحادية عشر صباحًا لم تمر دقيقة بعدها إلا وقد توقف قطع التذاكر المجانية وتوقف معه حضور المرضى لعيادة الباطنة .. كانت الدكتورة تقى محقة عندما أخبرتني أن المرضى يفضلون الحضور صباحًا وقطع التذاكر الخاصة بالكشف عليهم في الفترة المجانية حتى يستفيدوا من الدواء المجاني المتوفر في المركز والتحاليل الطبية المخفضة بعكس فترة العلاج الاقتصادي والتي تقتصر على الكشف الظاهري فقط بينما يكون العلاج على نفقة المريض يأتي به من أي صيدلية في الخارج

تركت خوخة العيادة سريعًا بعد أن استأذنت من ديانا حتى تذهب للإفطار والجلوس مع زميلاتها فسمحت لها ديانا بذلك .. قامت ديانا بعد ذلك وأحضرت من الدولاب الخاص بها كوبين نظيفين وهي تسألني:

-تشرب نسكافيه معايا ولا حاجة تاني ؟ شاي ؟ قهوة ؟ أي حاجة ما تتكسفش

أجبتها :

-لأ نسكافيه تمام جدًا

وضعت ديانا مياه نظيفة في البراد وتركت المياه لتغلي وهي تقول :

-بص بقى يا سيدي .. الدنيا هنا من غير المنطقة لذيذة .. الشغل سهل ودكتورة تقى شخصية محترمة جدًا وبتقدّر اللي بيشتغلوا معاها وبتعمل واجب مع كل اللي شغالين هنا تقريبًا وما فيش حد في المركز ولا في المنطقة كمان إلا وليها فضل عليه والناس بتكشف ومبسوطة وما فيش أي مشاكل بتقابلنا وحتى لو قابلتنا فدكتورة تقى بتتصرف

وبتحلها من غير تأخير .. واحنا بنشيل بعض وممشيين الشغل كويس وما فيش بينا مشاكل كبيرة وبنقدّر الكبير وكله بيس يعني

سألتها :

-أمال إيه المشكلة بقى ؟

أجابتني :

-زي ما قولتلك الكلام ده حلو جدًا من غير المنطقة .. وحط مليون خط تحت كلمة من غير المنطقة دي .. وجود المنطقة معانا هو كل المصيبة اللي احنا فيها .. المديرين المساعدين سبب كل بلوى بتحصل في المركز .. هم عاوزين يبينوا نفسهم إنهم بيشتغلوا قدام الدكتورة الدكتورة .. على فكرة إحقاقًا للحق يعني هم شغلهم مهم جدا فعلًا بس سهل وبيخلص بسرعة ومن غير أي مشاكل أو صراعات وده يمكن سبب المشكلة عندهم .. إن شغلهم سهل ومش هيبان قد ايه هم بيتعبوا ويجتهدوا والكلام الكبير ده .. فطبعا ده مش هيبقى كويس بالنسبة ليهم والنتيجة لكده إنهم بيغتتوا على خلق الله .. اللي هو علينا احنا يعني من باب اكتساب الأهمية في المكان وإن هم الأساس والكلمة كلمتهم ومحدش يقدر يعمل حاجة غير بإذنهم .. كده يعني

سألتها مرة أخرى :

-ازاي ؟؟

أجابتني وهي تصبّ المياه في أحد الأكواب أمامها :

-بيعملوا تفتيشات مفاجئة علينا اللي هو الدشني اللي قلتلك عليه من شوية .. ساعات يغتتوا على دفتر الحضور والانصراف .. يشددوا على وجود دكتور انتظار لحد ما الدكتور النباطشي يجي .. يشوفوا لو في ورق ناقص مش كامل في دفاتر الشغل وتسجيل بيانات المرضى ..

ولو انت ملاك وما بتغلطش يركزوا معاك بقى على البالطو والآي دي زي ما حصل معاك النهاردة.

سألتها في جدّية :

-ولو حتى ده تمام ؟

ضحكت وهي تقول :

-ما تقلقش ساعتها هيتلككولك على أي حاجة .. مش هتخلص منهم يعني مش هتخلص منهم .. يبقى فيها موتهم يا بني لو فلت منهم أصلًا.

ناولتني كوب النسكافيه الذي أعدته منذ قليل فأخذته منها وشكرتها وراحت تصبّ المياه في كوبها وهي تكمل :

-معظم المديرين المساعدين هنا كبار في السن .. في عمر أمهاتنا تقريبًا ما عدا أشجان عزمي اللي ماسكة إدارة شايفاك يا فيروس وهدى رضوان اللي ماسكة إدارة اللف على العيادات الخاصة ودول هتلاقيهم أقرب اتنين لينا هنا لأنهم كانوا زمايلنا أصلًا قبل ما يقدموا على الإدارات دي لما المديرين اللي كانوا ماسكينها طلعوا على المعاش

أمسكت كوبها وجلست أمامي وأكملت :

-في خمسة من المديرين المساعدين كبار سنًا، وقامة كمان ودول في نفس الوقت نواب لمدير عام المنطقة الدكتورة الدكتورة قلق ودول أكتر ناس ممكن تقول عليهم مؤذيين بجد ومفيش واحد هنا إلا واتقرص منهم مرة واحدة على الأقل .. وفي بعد كده تلاتة بييجوا بعدهم في الأهمية ودول مش محبكينها أوي زي الخمسة الكبار يعني تقدر تقول بين البينين .. أما الباقي فبأمانة دول مركزين في شغلهم وبس وما بيحاولوش يكسبوا بنط عند الدكتورة الدكتورة

ارتشفت بعضا من النسكافيه الخاص بي وأنا أسألها :

-مين بقى الثمانية دول ؟

ارتشفت هي الأخرى بضع القطرات من كوبها قبل أن تقول :

-عندك أول واحدة دكتورة زينات الخرايرجي ودي كانت ماسكة إدارة البي بي وبعد كده مسكت إدارة الأساس والمتانة لفترة مؤقتة بعد دكتورة فوفة مصايب ما طلعت معاش وما فيش شهر لفت على الدكتورة الدكتورة ومسحت لها جوخ كويس وطلبت منها تخليها ماسكة إدارة الأساس والمتانة بشكل رسمي وطبعا الدكتورة الدكتورة حققت لها أمنيتها لما اتكيفت من هداياها ومنها كمان وبقت رسمي هي مدير إدارة الأساس والمتانة واللي مطلعة عين اللي جابونا برضه يعني .. دي مشكلتنا الأساسية معاها إنها رئيستنا المباشرة بعد تقى لأن شغلنا بيصبّ عندها في إدارتها عشان كده التعامل معاها للأسف هيكون كثير ولازم تخلي بالك من كلامك معاها لأن أي كلمة هتقولها هتلاقيها منقولة للمنطقة كلها ومتزود فيها شوية حبشتكنات كده من عندها لزوم الخلطة اللي هتوديك في داهية طبعا .. وفي دكتورة نهير فوزي ودي مديرة إدارة خد البزة واسكت ودي كمان شغلها مرتبط بينا جدًا كدكاترة باطنة وأطفال ودي ما تتكلمش معاها في سياسة خالص ولو هي اتكلمت معاك فيها اعمل نفسك مش فاهم ولا أقولك اعمل نفسك مش سامع أصلًا وجاتلك حالة طرش فُجائي عشان تريح دماغك .. وعندك كمان دكتورة عزيزة الفرحان ودي ماسكة إدارة ابعدي يا عدوى بعيد ودي شغلها أكتر مع مكتب الصحة وده هأحكيلك عنه كمان شوية ولازم طبعا أحذرك برضه كمان وخلي بالك منها لأنها مش سهلة وبتنقل كلام كتير

ابتسمت بسخرية وأنا أقول :

-بسم الله ما شاء الله .. هم كلهم شغالين فتانين بعد الظهر ولا إيه .. في مين تاني ؟

أجابتني ضاحكة :

-في بقى دكتورة إسعاد الأفندي ودي بقى مديرة إدارة الحقنة السليمة وبقولك من أولها اهو خلي بالك منها بزيادة أكتر من أي واحدة ثانية لأنها ناعمة أوي وتبان قدامك حنينة بس أول خازوق هيجيلك في الشغل هيكون منها هي أكيد ومش هتسمع منها غير جملة " اخص عليك .. بقى ينفع كده .. خذلتني يا دكتور "

صمتت برهة ثم أكملت :

-وطبعا في دكتورة إلحاد شفيق يا راجل مديرة إدارة خلوا بالكم اللي انت لسه مهزأها وماسح بكرامتها بلاط العيادة من ساعة واحدة بس

ضحكت وأنا أقول :

-هو كله مديرة مديرة مديرة .. ما فيش مدير خالص .. إيه منطقة الكعب العالي دي

ضحكت على دعابتي وقالت :

-هما فعلا كل اللي موجودين هنا ستات بس الثلاثة الثانيين فيهم راجل

سألتها :

-مين ؟

أجابتني :

-دكتور إسحاق عبد ربه مدير إدارة الأسنان وبلاويها .. ده راجل طيب بتاع ربنا ما دمنا بعيد عنه .. بس نصيحة ما تتكلمش معاه في

دين أو سياسة وهتلاقيه لذيذ جدًا بس طبعا أنا بالنسبة ليه من الأعداء عشان اختلاف الدين طبعا بس هو بأمانة مالوش دعوة بينا خالص ومركز مع الأسنان وبس .. أما الاثنين الثانيين فهما دكتورة نهى أبو هيف مديرة إدارة الصيدلة ودكتورة بكيزة الخربوطلي مديرة إدارة عشان البيئة ما تزعلش.

قلت ساخرًا :

-اخص على اللي يزعلها

ضحكت ديانا وهي ترد :

-ميت مرة والله .. المهم خلي بالك من الثمانية دول لأنهم مش سهلين

قطع حديثنا صوت طرقات على الباب تبعها دخول شاب في مثل عمرنا ممتلئ الجسد قليلًا ويميل إلى قصر القامة عنه من الطول ويرتدي بالطو أبيض طويلًا جعلني أيقن أنه طبيب مثلنا .. اقترب مني وهو يقول :

-حضرتك الدكتور الجديد ؟

ثم التفت إلى ديانا وقال :

-صباح الخير الأول يا ديانا

عاد إلي وهو يقول بلهجة سريعة :

-ما قولتليش .. حضرتك الدكتور الجديد ؟

نظرت إليه وأنا أقول في حذر ساخر :

-على حسب مين اللي عاوزه

وجدته ينفجر في الضحك وهو يجلس بجوارنا ويقول :

-الله ما الراجل أهو لذيذ أهو وبهزر .. أمال بهدلت دكتورة إلحاد ليه يا راجل .. ده المركز ما لوش سيرة غير اللي عملته .. الناس معايا في الصيدلية سابوا صرف اللبن والأدوية وبيتكلموا عن الدكتور الجديد اللي مسخر الدكتورة إلحاد ومسح بيها بلاط المركز وخلاها تطلع من العيادة قفاها يقمر عيش

أجبته في سرعة :

-هي اللي بدأت الأول دي .....

قاطعني ضاحكًا :

-حلمك عليا يا عم شوية .. أنا مبسوط من اللي انت عملته معاها .. إن شالله تديها بالجزمة القديمة على دماغها حتى هتكيفني جدًا ساعتها والله

تدّخلت ديانا ضاحكة :

-طب مالك بقى يا عم واخد الراجل على الحامي كده .. ده انت حتى ما عرفتوش بنفسك

ضرب على جبينه وهو يهتف :

-يخرب بيت أبو الزهايمر اللي جه للواحد في المنطقة المخروبة دي

التفت لي وابتسم وهو يقول :

-أنا دكتور أحمد الجنايني نائب الصيدلية هنا في المركز .. وبالمرة بقى عشان تعرف الأوضة بتاعتنا كلها معانا دكتور محمد البدوي رئيس الصيدلية ومعانا كمان دكتورة ضباب عبد الستار ودكتورة شهوة حسني ودكتورة أطيب النساء

صمت أحمد فنظرت له ديانا وهي تقول ساخرة :

-نسيت واحد يا عم أحمد

لوى شفتيه وهو يقول :

-ومعانا كمان دكتور عصام بلاوي وبيه يبقى طقم الصيدلية اكتمل .. لو احتجت دوا جدول أو بتضرب ترامادول أو كودايين هيبقى صاحبك أوي

صعقت من حديثه ونظرت لديانا في دهشة لتقول لي :

-أو لو ليك في أي حاجة شمال مهما كانت .. برضه هيبقى صاحبك أوي

انطلق الاثنان في نوبة من الضحك تاركين إياي لدهشتي وصعقي من كمية المعلومات الكثيرة التي أتلقاها عن المركز والمنطقة قبل أن تلتفت ديانا لأحمد وتسأله :

-ما قولتليش يا أحمد .. جاي ليه وسايب الصيدلية .. مش بعادة يعني

أجابها وهو يلوح بعدد من التذاكر في وجهي ويهتف بحدّة متصنعة :

-جاي أشوف الدكتور خريج المدارس الأجنبية اللي بيكتبلنا الدواء بالإنجليزي وفاكر نفسه شغال في مركز شباب ليفربول .. فوق يا خال انت في منطقة الأفاعي الطبية .. النبي عربي يابا

ابتسمت ديانا وهي تقول :

-عندي دي يا أحمد .. نسيت أقول لرامز إننا لازم نكتب الدواء بالعربي

رددت في سرعة:

-الدواء بالعربي كمان ! .. يا حلاوة يا ولاد

التفتت لي وقالت ساخرة :

-حسب تعليمات وزارة صحتين وعافية .. اعترض بقى .. ولا تحب أناديلك دكتورة زينب الخرايرجي

أجبتها في سرعة:

-لا يا ستي خلاص .. ولا تناديها ولا تقوميها من مكانها .. هو احنا هنتعبها ونجيبها لحد هنا كمان .. نكتبه بالعربي .. ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم

نظرت باتجاه أحمد وابتسمت معتذرًا منه قائلًا :

-عندي دي يا أبو حميد .. مش هتتكرر ثاني .. لو عاوزني أكتبهولك بعد كده بالإغريقي هكتبهولك وبلهجة أهل بلادها كمان .. احنا نعمل كل اللي التعليمات بتقوله يا باشا

ضحك وهو يقول :

-لا يا خال مش هتوصل لدرجة إغريقي .. هو عربي بس .. كويس إني اتعرفت عليك .. أسيبكم بقى تكملوا شغلكم

أخبرته ديانا :

-شغل إيه يا بني .. ما خلاص .. بح .. شطبنا .. أنا كنت بحكي لرامز عن الناس هنا والمركز والمنطقة والدنيا .. كده يعني .. عشان يتودك بسرعة وما حدش يعلم عليه من أولها أو يلبسه في الحيطة

جذب الموضوع اهتمامه فثنى قدمه أسفل جسده وسألها :

-حكتيله عن مين ؟

أجابت :

-حكيتله عن المديرين المساعدين وكنت لسه هأكمل بقية الناس لقيتك داخل علينا بزعابيبك ولا دخلة المدارس على أولياء الأمور

وجدتُ عينيه تلمعان في جذل وهو يعود للجلوس في مقعده قائلًا :

-حلو قوي .. وادي قعدة نكمل فيها حكايات بقى .. سبيني أنا أكمل

التفت لي وهو يكمل :

-عندك المعمل فيه أربعة هدير سحاحة وزيزي قلويات ومحمود الحامض ووهيب إبرة ودول قافلين على نفسهم لو شفتهم هيكون في الحضور أو الانصراف بس .. في بعد كده التمريض يا برنس .. دول بقى لما تحب خبر ينتشر في المكان قوله بس قدامهم وما تقلقش بعد ثواني هيكون الخبر في حي الأفاعي كله .. انت أكيد شفت خوخة ودي مسئولة عن عيادة الباطنة وما بتسيبهاش ودي اللي نقلت حكايتك مع إلحاد النهاردة .. عندك كمان فهيمة ودي الريسة بتاعتهم ودي شغلانتها تفتش عليهم وترازي فيهم وبس .. بقيتهم بقى ملاك رحيم وإحسان الطيب ورحمة المبتهل وإخلاص مخلص وجنة خالد وطيبة عبد الشافي

وجدني ابتسم فأعقب :

-واوعى تخلي أسمائهم تديك انطباع خاطئ .. ما تنساش إن إبليس شهرته حامل الضياء

ضحكت بشدّة على تشبيهاته قبل أن يكمل :

-وفي كمان جرجس ميخائيل وده مسئول عن عيادة الأسنان وده فعلا أطيب واحد فيهم وفي حاله وغالبا ما بيدبسوه في أي مصيبة

أمسكت ديانا منه دفة الحديث وهي تقول :

-بقية البشري بقى هنا أكيد انت سمعت إن دكتورة شادية المزقطط هي المسئولة عن الأطباء البشريين .. هي ست طيبة وبتحاول تخلي الشغل يمشي من غير أي مشاكل واحنا والله بنحاول ما نزعلهاش ودايمًا بنراضيها .. إحنا معانا هنا كمان دكتورة سيلفيا عناني بس هي أجازة اعتيادي النهاردة .. عندك بقى عيادة النسا فيها تلاتة .. دكتورة سيرين عبد العال ودكتورة حنّون العريان ودكتورة ميادة الأسيوطي .. ودول تقريبا ممكن ما تقابلهومش عشان دايما أوضتهم مقفولة عليهم سواء بيكشفوا أو قاعدين مع بعض بعد الشغل ما بيخلص .. وخد المفاجأة .. لو حصل عجز في عدد الأطباء دكتورة تقى بتنزل تساعدنا وتشتغل معانا بنفسها

اندهشت من كلامها ليكمل أحمد قائلا :

-انت لسه ما تعرفش الست دي .. دي ست جدعة جدًا وتخلي الواحد يديها عينيه وهو راضي

اقتربت مني ديانا وهي تقول :

-عندك بقى مكتب الصحة .. المفروض يكون في دكتور خاص شايل الشغل فيه .. بس ما فيش حد راضي يمسك الشغلانة دي عشان لبش .. نظام المواليد والوفيات ممكن تعمل منه شغل كثير وبيودي في داهية عشان كده دكتورة تقى شايلاه لوحدها جنب إدارة المركز مع إنه حمل عليها بس بتحمينا من مصايبه .. ده غير إنها الوحيدة اللي بتعرف تتعامل مع منعم الأرندلي كاتب الصحة اللي بيسجل كل حاجة تحت

التفت لي أحمد وقال :

-على فكرة هيعرضوه عليك يا معلم .. اوعى توافق ده دكتورة شادية المزقطط لبست شهرين جزا بسبب مصيبة عملها ابن الأرندلي

اللي تحت ده .. كان خد رشوة من زوجة ثانية لواحد متوفي عشان يديها شهادة وفاة جوزها مع إنه كان متجوزها عرفي ولما ابنه جه عمل مصيبة عشان لقى واحدة ما يعرفهاش عاملة إعلان وراثة وطالبة حقها في تركة أبوه

اعتدلت ديانا في جلستها وهي تقول :

-كده تقريبا خلاص عرفناك بكل الموجودين في المنطقة وفي المركز هنا .. ممكن بس تتعامل مع خالد مصطفى مسئول الدفتر وده لو ليك في الزوغان بتضبطه وهو بيضبطلك الدنيا آخر الشهر .. وفي كمان مدام فادية الرهوان ودي اللي بتعملنا مرتباتنا ودي بتعشق حاجة اسمها إنها تخصم مننا وشايفانا جيل ضايع ومستهتر ومعانا فلوس كتير ومش محتاجين نشتغل ولا ناخد فلوس زيها وما نستحقش نقبض مليم .. حقد طبقي من الآخر يعني .. ومكتب التطعيمات برضه مش تبعنا أوي .. ده خاص بالتطعيمات الإجبارية للأطفال من سن يوم ولحد سنة ونص

التقط أحمد دفّة الحديث من ديانا وأكمل :

-دول الناس اللي هنا في المركز .. لو انت بقى ناوي تبقى مسجل خطر وتقضيها زوغان هتتعامل مع تفتيش الدرك ودول بيكرهوا كل الدكاترة بدون أي تفرقة .. ما تعرفش بقى مشاكل نفسية من مرحلة الثانوية العامة ولا إيه .. المهم دول الريسة بتاعتهم واحدة اسمها شحرورة الندمان والنايب بتاعها يبقى حسام المدمن

نظرت له في دهشة من كلمة المدمن التي وصم بها الرجل فأعقب وهو يضحك :

-لأ ده اسمه والله مش صفة

صمتنا قليلًا وأخذت أفكر في ما قالاه لي .. يبدو أن في انتظاري أيام سعيدة جدًا قادمة .. ربما كان من الأفضل أن أعرف نفسي كاملًا باسم العائلة حتى يعرفني أولئك الناس وأريح ذهني من أي صراعات قد تأتي ولكنه القرار الذي اتخذته سابقًا منذ أيام دراستي الجامعية بعدم فعل ذلك حتى يكون التعامل معي أنا فقط .. فكرت للحظة أن أهاتف دكتور باهر وأطلب منه أن يعيدني مرة أخرى لمنطقة الجرابيع الطبية قبل أتذكر شيئًا

التفت ناحية ديانا وأحمد وأنا أسألهما :

-وعيادة الأسنان .. ما جبتوليش سيرتها ليه ؟

نظرا لبعضهما لثانية وعلى وجهيهما ابتسامة ساخرة وقبل أن يجيب أحدهما فوجئت بصراخ أنثوي قادم من العيادة التي سألت عنها منذ لحظة واحدة فقط

عيادة الأسنان

***

أفعى الذرة

تسمى أيضا أفعى الجرذ الأحمر

تتواجد دوما في حقول الذرة .. ليس لأكل الذرة ولكن لأكل الحيوانات التي تتغذى على الذرة

لا يخدعك جمال منظرها فهي تقتل فرائسها بالالتفاف حول أجسادهم وعصرها حتى الموت

عيادة الأسنان

ازداد صوت الصرخات الأنثوية القادمة من عيادة الأسنان بشكل قوي .. قمت مسرعًا من مقعدي واتخذت طريقي باتجاه عيادة الأسنان.. كل ما جال في خاطري في تلك اللحظة أن هناك من يعتدي على الطبيبات المتواجدات في العيادة وواجبي كطبيب في المركز أن أذهب لإنقاذهن

كان مسلسل الاعتداءات على الأطباء من قبل المرضى وذويهم منتشر جدًا في المراكز الحكومية التابعة لوزارة صحتين وعافية .. كانت الأسباب المؤدية لتلك الاعتداءات كثيرة جدًا. كان منها على سبيل المثال وليس الحصر: الخدمات المتدنية التي تقدمها الوزارة وعدم توافر المستلزمات الضرورية الخاصة بالكشف على المرضى وعلاجهم، والدواء الذي لا يتواجد أغلبه في المستشفيات أو حتى الصيدليات الخاصة، وتحريض الإعلام على الأطباء وتناولهم أجورهم المتزايدة ونهشهم في لحوم المرضى بلا ضمير وتجاريهم فيهم بالإضافة إلى شائعات الاتجار بالأعضاء واختطاف الأطفال للحصول على أعضائهم، وتحريض وزارة صحتين وعافية العامة على الأطباء وأنهم الحلقة السيئة في المنظومة ووضعهم في مواجهة مباشرة مع المرضى على أساس أنهم المسئولين المباشرين عن نقص المستلزمات وتصويرهم أن كل ما يبحثون عنه هو المال فقط وبالطبع عدم توافر أفراد أمن لحماية الفريق الطبي من أطباء وتمريض. كل تلك الأشياء كانت من العوامل الأساسية التي ساعدت على ازدياد سلسلة الاعتداءات اليومية على الأطباء .. سمعت من قبل أنه في أحد البلاد البعيدة عنّا تم سجن أحد الأطباء لأنه طلب من أهل المريض شراء أداة طبية زهيدة الثمن من صيدلية خاصة بجوار المستشفى حتى يتمكن من إنقاذ مريضهم لعدم

توافرها في المستشفى التي يعمل بها فقام أهل المريض بالإبلاغ عن الطبيب والذي حوكم وتم سجنه لثلاث أعوام لطلبه من أهل المريض شراء أدوات طبية من مكان غير حكومي وهي متوافرة في المستشفى لصالحه الشخصي والمالي !!!

وصلت في ثوانٍ قليلة إلى عيادة الأسنان .. لم ألحظ في البداية أنني كنت بمفردي وأن ديانا وأحمد لم يصحباني وفضلا البقاء وانتظار عودتي في عيادة الباطنة ولكن كان تركيزي الأكبر هو إنقاذ تلك الطبيبة التي تصرخ بهستيريا متصاعدة.

وقفت أمام مدخل عيادة الأسنان أبحث عن مصدر الاستغاثة وأنا أتوقع أن أجد أحد المرضى المشبوهين يتشاجر مع الطبيبة المعالجة له وهي تحاول الاحتماء بأي شيء ولكن على العكس من ذلك لم يكن هناك مريض ذكر ولا طبيبة ضعيفة. كل ما رأيت كان ذلك المشهد العجيب الذي لن يُمحى من ذاكرتي بسهولة أبدًا .. امرأة منتقبة لا أدري أ مريضة هي أم طبيبة ولكن من الأرجح أنها طبيبة بالطبع لكونها ترتدي البالطو الخاص بأطباء الأسنان. كانت الطبيبة طويلة وضخمة الجثة بشكل ملفت للنظر تذكرك بالمصارع الشهير بروك ليسنر في ضخامته وقوته، وجدتها تحاول الوصول لإحدى الطبيبات الصغيرات ضئيلة الجسد للاعتداء عليها _كما تهبش الوشق الأم من يأتي بجوار صغارها_ بينما يحاول زميلات تلك الطبيبة منعها من ذلك الأمر

كانت المرأة المنتقبة تصرخ بشدّة :

-يعني إيه تدخلي عليا الحمام يا هانم .. خلاص اتعميتي .. ما شفتيش شنطتي على السرير ولا جزمتي قدام باب الحمام .. فاكرة نفسك مين انتي

أجابتها الفتاة وهي تلوذ بزميلاتها وتتحاشاها :

-والله قعدت أخبط على الباب أكتر من خمس دقايق ولما ما حدش رد فتحت الباب .. وبعدين أنا أول ما شفتك قفلت على طول وقعدت أعتذرلك فوق .. لزمته إيه بقى اللي بتعمليه ده .. وبعدين انتي مش قافلة على نفسك ليه بالترباس ما دام جوه ..

ردت عليها المنتقبة بعنف :

-وانتي مالك أقفل الباب ولا ما أقفلش .. أنا كنت لوحدي في الأوضة وانتي اللي داخلة عليا .. وحاجتي كانت موجودة تخزق عينيكي .. إنما انتي بتستهبلي وكنتي قاصدة تعملي كده.

كانت الفتاة تصرخ في وجهها غاضبة وكل ما جرى على لسانها تكرار قول :

-قصدي افتح عليكي إيه .. والله ما كان قصدي .. كان يوم اسود ومهبب لما فكرت أدخل الحمام هنا في المركز .. ما كنت رحت أي كافيه أو مطعم جنبنا أريح وأنظف

أدركت في تلك اللحظة أن ما حدث هو شجار بين طبيبتي أسنان وأنهن يتحدثن عن مشكلة حدثت في سكن الطبيبات بالدور العلوي .. أردت الانسحاب من المشهد عندما وجدت الصراع أنثوي تجنبًا للإحراج إلا أنني وجدت من يقوم بدفعي بقوة إلى داخل العيادة ويغلق الباب خلفه .. التفتُ في سرعة ناحية من دفعني وأنا استعد للشجار معه لأجدها مدام خوخة والتي اندفعت في سرعة تجاه الطبيبة المنتقبة وهي تقول :

-استهدي بالله كده يا دكتورة أغاني .. هو إيه بس اللي حصل لكل ده .. ما كلنا ستات في بعض والدكتورة أكيد ما كانتش تقصد يعني

استدارت لها الطبيبة المدعوة أغاني وهي تزمجر قائلة :

-يعني إيه تقولي إيه اللي حصل لكل ده يا مدام خوخة .. دي زقت عليا باب الحمام وكسرته بكتفها ودخلت عليا .. ده أنا من الخضة عملتها على روحي وبهدلت نفسي

كتمت ضحكة كادت أن تنفلت من بين شفتيّ وأنا أتأمل تلك الطبيبة الصغيرة والتي تشبه العصفور تويتي وأتخيلها تكسر الباب على بروك ليسنر من دون أن يفتك بها ويقوم بحركته الشهيرة إف فايف قبل أن تخرجني الطبيبة الصغيرة من تخيلاتي بقولها :

-أزق الباب بكتفي واكسره ازاي يعني .. هو أنا هركليز ولا ذا روك .. وبعدين يا دكتورة الموضوع مش مستاهل لكل الهيصة اللي حضرتك عملاها دي وأنا اعتذرتلك كذا مرة لحد دلوقتي .. المرة الجاية ابقي اقفلي الباب على نفسك بالترباس من جوه وردي على اللي بيسأل إذا كان في حد في الحمام ولا لأ

حاولت أغاني الوصول إليها مرة أخرى قبل أن تقف إحدى الطبيبات أمامها لمنعها وهي تصرخ فيها قائلة :

-ما خلاص بقى يا أغاني .. انتي هتضربيها ولا إيه

صرخت بها أغاني قائلة :

-وانتي مالك أصلا يا فيحاء بالموضوع ده .. بتدخلي فيه ليه أصلا

رفعت فيحاء حاجبيها بدهشة وهي تقول :

-لا يا شيخة .. أمال أسيبك تضربيها .. انتي اتجننتي ولا إيه .. وبعدين إيه اللي بتقوليه ده .. ما تاخدي بالك وتركزي كده .. مش شايفة إن العيادة مليانة رجالة .. ازاي تقولي كده قدامهم ؟ .. انتي وشك مكشوف كده ليه ؟ .. وبعدين ما مايا اعتذرتلك كتير عايزة إيه تاني ؟ نازلة علينا من فوق بزعابيبك ليه ؟

وقفت أغاني وهي تضع يدها في وسطها وتقول وهي تتمايل :

-عشان الهانم نازلة تحكيلكم اللي حصل وانتوا عمالين تتودودا ما بينكم وأكيد قالتلكم هي شافت إيه وانتوا شغالين ضحك وهئ هئ هئ مئ مئ مئ وأكيد بتتخيلوا اللي حكيته

وضعت فيحاء يدها على فمها في استنكار شديد وهي لا تصدق ما تقوله تلك الطبيبة المنتقبة ثم قالت :

-الله يخرب بيت عقلك يا بعيدة .. إيه اللي انتي بتقوليه ده في رجالة في المكان .. اخرسي بقى جتك مصيبة تاخدك وتريحنا منك

وجدت خوخة تحاول الإمساك بذراع أغاني والتي تركت نفسها ليد خوخة حتى يظهر للمتابعين أنها تحول بينها وبين هدفها مع أنها كانت من الممكن وبسهولة أن تطيح بخوخة لأقصى العيادة وبضربة واحدة قبل أن تعتدل وتقول :

-أيوه أنا عارفة كل حاجة .. وعارفة كل كلمة بتقولوها عليا من ورا ظهري .. انتوا كلكم في العيادة غيرانين مني عشان أنا اتجوزت وانتوا لسه .. الغيرة بتأكلكم مني وهتتفرسوا من جواكم عشان ربنا كرمني وانتو لأ

ساد صمت للحظات بين الطبيبات في العيادة وإن سرت بعض الضحكات المستترة بينهن قبل أن تهتف مايا قائلة :

-أغير منك إيه بس يا طنط .. ده انتي تخلفيني

هنا استحضرت أغاني شخصية بروك ليزنر المصارع القوي الشهير وقامت بالتخلص من ذراع خوخة التي كانت تحيطها به وأطاحت بها لأقصى ركن في العيادة قبل أن تنطلق ناحية مايا وهي تصرخ :

-طنط مين يا دلعدي .. وأخلفك إيه يا عنيا ده أنا كل اللي بيني وبينك ثلاث ولا أربع سنين بس .. فوقي يا بت انتي مش قد أغاني

وقفت فيحاء وإحدى الطبيبات الأخريات بوجه أغاني حتى لا تصل إلى مايا ولكن مايا لم تكتفِ وقالت ساخرة :

-ثلاث ولا أربع سنين إيه يا طنط ده أنا مولودة بعد انتي ما اتخرجتي بسنة .. يعني حطي صفر مستريح أوي على اليمين جنب الثلاث أربع سنين اللي بتقولي عليهم دول

وجدت أغاني تزمجر وتستعد للإطاحة بالطبيبتين والفتك بمايا قبل أن تحدث معجزة من السماء .. أتى رجل يبدو أنه في منتصف العمر ذو لحية مهندمة وشعر أشيب ونظارة طبية يدخل العيادة ويصرخ قائلا :

-في إيه يا دكاترة .. صوتكم جايب لغاية آخر المنطقة

استدارت له أغاني وهي تقول :

-ما هو حضرتك مش عارف اللي حصل يا دكتور إسحاق

عرفت في هذه اللحظة أن هذا الرجل هو دكتور إسحاق عبد ربه مدير إدارة الأسنان وبلاويها .. وجدته ينظر لها ويقول :

-مش عاوز أعرف يا دكتورة أغاني .. هو أنا ما ورايش غير حل مشاكلك وخناقاتك .. ما تهدي بقى شوية على نفسك وعلى زمايلك .. لو سمحتي الموضوع انتهى كله يشوف شغله وإلا هاتخذ إجراءات مش لطيفة ضد كل الناس وهنعيد توزيع كل الدكاترة الموجودين هنا على كل المناطق الطبية في الوزارة

قال كلمته ثم انسحب في هدوء .. ساد صمت في العيادة للحظات قبل أن أجد أغاني تستدير وتتخذ طريقها للخروج من العيادة قبل أن تلاحظ وجودي وتقف أمامي وهي تنظر إلي في صمت

تسمرت للحظات وأنا أفكر في الرد المناسب عليها إذا ما تجاوزت معي كما فعلت مع زملائها منذ قليل قبل أن أجدها تسألني :

-هو حضرتك الدكتور الجديد اللي استلم معانا في المركز امبارح ؟؟

فوجئت بالصوت الناعم الرقيق الذي خرج منها لتتحول من شخصية بروك ليسنر لشخصية ميريام فارس قبل أن أجيبها سريعًا وبدون تفكير:

-لا خالص .. أنا الفني اللي بيصلح جهاز الأوتوكلاف وخلاص صلحته وماشي .. سلام عليكم يا جماعة

قلت كلمتي ولم انتظر طويلًا في تلك العيادة .. انطلقت سريعًا تاركًا الجميع حتى وصلت إلى عيادتي فوجدت ديانا ما زالت جالسة في مكانها أمام أحمد وبمجرد أن دخلت سألتني ضاحكة :

-قابلت أغاني ؟

ضحك أحمد بشدّة فجلست أمامهما وأنا ألهث وأجيبها :

-أه يا اختي قابلتها .. مين دي .. وإيه العيادة دي .. وازاي تسيبوني أروح لوحدي كده من غير حتى ما تحذروني

ضحك أحمد وهو يقول :

-عيادة الأسنان يا بني يتغنلها أغنية عمرو دياب " ما يتحكيش عليها " مع اختلاف إنها مش زي الملايكة يعني .. كان لازم تشوفها بأم عينك عشان تعرف إنها ما يتحكيش عليها فعلًا

صمت قليلًا ليلتقط أنفاسه ثم واصل الضحك وهو يقول :

-وبعدين هو انت شفت حاجة أصلًا .. دول كل يوم على كده

نظرت له في تعجب ثم التفت إلى ديانا وأنا أقول :

-لا .. فهميني واحكيلي .. انتوا ما تعرفوش أنا شفت إيه جوه

اعتدلت ديانا في مقعدها وهي تمنع نفسها من الابتسام وقالت :

-بص يا عم رامز .. عيادة الأسنان دي كلها مشاكل وقرف ووجع دماغ .. هتلاقي فيها الجروب بتاع فهيم وجدي وبرهومة العاشق وفارس ذكي وأكمل خطير وروينا الدريني ولبنى عبد العزيز وسميرة صلاح الدين .. دول مكبرين دماغهم .. كلهم عاملين نص وقت وما بيجوش النص التاني .. ولو جم هتلاقيهم بيزوغوا بعد ساعة وبيتشطب عليهم .. تقريبًا ما بيقبضوش فلوس من المكان بس متمسكين بيه عشان المعاش بعد كده وشهادة الخبرة اللي بيحتاجوها في شغلهم الخاص أو في الماستر اللي بيعملوه .. وعلى فكرة غالبيتهم بيعمل الماستر وجاهة اجتماعية مش عشان يتعلموا وكده

التقط منها أحمد دفة الحديث وأكمل :

-وعندك جروب الناس المحترمة اللي بيشتغلوا ودول دكتور محسن محمد أكبر وأشطر دكتور فيهم ومعاه رئيسة القسم رؤي دوير وياسمينة كمال وألاء العكايشي ونورين نور الدين وفيحاء الزعيم ومايا ناصر ولارا عماد وشروق ياسر وسهى عشري وفريد الطويل وعمرو دياب بس مش المغني طبعًا يعني مش طالبة غباء

أسكتته ديانا بيدها لتكمل :

-وعندك بقى الثنائي الذهبي ودول أصحاب كل مشكلة تحصل في العيادة .. أغاني جمال الدين وسمر المتعقد .. أغاني مش هتكلم عنها

كتير أديك شفتها وشفت طريقتها ازاي في التعامل مع زمايلها .. أما سمر المتعقد فدي غريبة شوية .. هي أكبر مننا بكتير في السن لما جت هنا ما كانتش بتعرف تشتغل ودكتور محسن ربنا يكرمه هو اللي علمها كل حاجة والست فعلًا طلعت أصيلة قوي وصانت العشرة على الآخر ما أقولكش يعني، أول واحد كتبت فيه شكوى في المركز هنا هو دكتور محسن نفسه اللي خلاها دكتورة بتعرف تمسك كونترا .. خلي بالك يا رامز عشان هي هتحاول تتكلم معاك وخصوصًا لما تلاقيك مش لابس دبلة في إيدك .. عموما ومن غير ما أعرف المشكلة اللي حصلت هناك دلوقتي أكيد كانت من بطولة أغاني لأن سمر بتزوغ بدري

نظرت له في دهشة وأنا أقول :

-يا أحمد انت مش عارف دي عملت إيه .. دي كانت هتاكل البت

ضحك وهو يقول :

-عادي جدا يا خال .. قبل كده ضربت عيان وقالت إنه كان بيعاكسها وبيتحرش بيها ولما خلصنا العيان من تحت إيديها لقيناه راجل كبارة عنده تلاتة وسبعين سنة وكان بيجاملها عشان تاخد بالها منه وهي بتخلعله فقالها خدي بالك مني والنبي يا قمر انتي والنتيجة إنه اتعدم العافية وفين يوجعك وما خلصش من ايدها غير لما احنا اللي بعدناها عنه.

عقدت يدي أمام صدري وقلت :

-يا نهار إسود ومنيل .. انفصام وبارانويا وناس معقدة واستقصاد .. إيه المنطقة دي .. ده أنا لسه في أول يوم ليا يا جدعان .. أمال كمان كام يوم هيحصل إيه .. الله يخرب بيت اللي شار عليا إني أتنقل من منطقة الجرابيع الطبية لمكان قريب جنب بيتي .. ما كنت فضلت

هناك وكنت أروح يوم ولا يومين في الأسبوع وأريح دماغي من القرف ده كله.

قبل أن يرد أحدهما، أخذ شخص ما يطرق طرقًا خفيفًا على باب العيادة قبل أن يُفتح الباب ويدخل منه فتى أسمر الوجه نحيل البنية يبدو عليه الإرهاق والنعاس .. نظرت له جيدًا لألاحظ انتفاخ ظاهر حول مقلتيه .. رجحت السبب ولكنني احتفظت به لنفسي .. تقدّم الشاب منّا وهو يضع أمامنا ورقة ويقول :

-دشني يا دكاترة

نطقها بلسان ثقيل وصوت مغيب جعلني أوقن وأتأكد من سبب إرهاقه قبل أن يسأله أحمد وهو يلتقط منه الورق ويكتب اسمه فيها :

-هي دكتورة إلحاد لحقت يا حسام ؟؟

أجابه تلقائيًا :

-مش عارف والله يا دكتور هي قالتلنا من ساعة كده نعمل دشني على المركز كله .. وحضرتك عارف إننا عبد المأمور

مرر أحمد الورقة لديانا التي كتبت اسمها فيها قبل أن تمررها لي لأكتب اسمي فوجدتني دون وعي أكتب :

رامز الدروي

***

أفعى المامبا السوداء

أطول الأفاعي السامة في أنحاء قارة أفريقيا جميعها

يتراوح طولها بين المترين والنصف وحتى الأربعة أمتار

لست بحاجة لأن أخبرك بأنها من أشرس الأفاعي على مستوى العالم وأكثرهم سُميّة

نباطشية وتفتيشات

مرت أيام العمل التالية في المركز بشكل جيد .. كنت أحضر في الصباح الباكر كأول العاملين وأقوم بالتوقيع في دفتر الحضور ثم أذهب إلى عيادة الباطنة حتى يبدأ الكشف على المرضى وبمجرد انتهاء عملي كنت أجلس مع أصدقائي حتى يحين موعد الانصراف فأذهب للتوقيع في دفتر الانصراف قبل أن أرحل من المركز وأعود إلى بيتي

اقتصرت علاقة الصداقة بيني وبين العاملين في المركز على ديانا وأحمد فقط .. بالطبع كانت علاقتي مع الدكتورة تقى فوق الممتازة ولكني لم أكن أذهب إليها كثيرًا في مكتبها لأتجنب تلك المرأة المدعوّة عفّت .. كانت كلما تراني تبدأ بالترحم على أيام الماضي وكيف كانت بمفردها هي ودكتور محسن استشاري الأسنان يقومان بكل عمل العيادة بينما الآن وقد تجاوز عدد أطباء الأسنان عدد لاعبي فريق كرة القدم فمشاكلهم كثيرة ومستمرة ولا يريدون العمل وكل ما يرغبون فيه هو الانصراف من المركز مبكرًا دون إذن أو حتى عدم المجيء من الأساس من أجل عملهم الخاص.

كانت دكتورة عفّت تمثل بقوة الصراع الأبدي والأزلي بين الأجيال العمرية المختلفة .. يرى الجيل الأكبر أنه وحده من كان يتعب ويعمل بجد بينما الجيل الأصغر كسول ومدلل ولا يفعل شيء ويريد أن يحصل على المال وهو يجلس في مكانه دون حراك .. لا يعلمون وهم يقومون بتلك المقارنة أنه في المستقبل القريب سيكون الجيل الصغير مكانهم وسوف يأتي جيل آخر وحينها سيقوم الجيل الأصغر الذي أصبح في وضعهم بنفس فعلتهم مع من هم أصغر منهم لتستمر عجلة الحياة في الدوران بمرور الزمان.

لم أذهب إلى عيادة الأسنان مرة أخرى بعد حادثة الحمام الشهيرة لدكتورة أغاني ودكتورة مايا وإن كنت قد قابلت دكتور محسن أكثر من مرة بعد ذلك .. كان دكتور محسن رجلًا طيبًا جدًا .. أبيض القلب كما يقولون .. لا ينغمس كثيرًا في الصراعات الدائرة في العيادة .. يحاول أن يحافظ على العلاقات الجيدة مع الجميع وأن يقوم بحل أي مشكلة تحدث في العيادة .. لا يتوانى عن أي عمل يُكلف به حتى وإن كان لا يناسبه. فوجئت أن تلك الطبيبة المصارعة أغاني برفقة رفيقتها المنتقبة الأخرى المدعوة سمر قد أجبرا الرجل الكبير على أخذ نباطشيات مسائية مثلهم تحججًا بأنها إلزام عليهم جميعًا دون التقيد بالعمر أو بالأقدمية والدرجة المهنية وقد رضخ لهم الرجل بالرغم أنه يستطيع رفض الأمر ولا يمكن لأحد أن يجبره على فعل ذلك ولكنه فضّل الموافقة على ذلك حتى لا تحدث مشاكل يفتعلها أي شخص دون داعي .. اكتفيت فقط بمعرفة الرجل من تلك العيادة الغريبة وأطبائها الأغرب.

حرصت في الفترة الأخيرة على تجنب جميع العاملين في المركز والمنطقة .. ما سمعته من ديانا وأحمد وما رأيته من أحداث بعد ذلك جعلا من القرار الذي اتخذته قرارًا صائبًا جدًا

اليوم هو أول نوبتجية لي في مركز صحة الأفاعي

لم أذهب للعمل باكرًا كما يفعل البعض حتى يحصلوا على يوم إجازة كبدل راحة بل قمت بالذهاب قبل موعد النوبتجية بقرابة نصف الساعة حتى لا أورط أحد من زملائي في انتظاري

بمجرد دخولي المركز وجدت أحمد جالسًا على السلم بجوار سعدون السعداوي أمين المخزن وهما يتناولان الشاي وسعدون يدخن إحدى سجائره .. ألقيت السلام على كليهما وأنا أقول :

-صباح الخير يا عم أحمد .. صباح الفل يا سعدون .. عاملين إيه

أجاب أحمد وسعدون التحية قبل أن يسألني أحمد :

-انت نباطشي ولا إيه يا خال ؟؟

أجبته :

-أه .. النهاردة نباطشي

سحب سعدون نفسا عميقًا من سيجارته وهو يقول :

-ربنا معاك يا دكتور .. النباطشية للدكاترة البشري هنا خنيقة

ضحكت وأنا أسأله :

-ليه بس يا عم المتفائل

أجابني من بين أدخنة سيجارته :

-الأسنان يا إما بيزوغوا أو بيسلوا نفسهم في الشغل .. والتمريض بيعقموا الأدوات أو يقفلوا دفاترهم .. إنما انتوا لا في عيانين بيجولكم ولا دياولو بس لازم تفضلوا قاعدين في الاستقبال ما تتحركوش لحد الساعة تمانية .. خنقة والله يا دكتور

ابتسمت وأنا أقول له :

-تصدق بالله .. هتصدق إن شاء الله على رأي صلاح عبدالله .. انت قفلتني والله يا عم سعدون ..

ضحك سعدون على دعابتي وهو يقول :

-حقك عليا يا دكتور .. أنا بقولك عشان تبقى عارف بس والله

ابتسمت في هدوء قائلًا :

-ولا يهمك يا عم سعدون .. أهو اليوم اتضرب برضه يعني .. يلا هأسيبكم دلوقتي .. هأروح أمضي قبل ما حد من الموساد يغتت على ديانا أو سيلفيا ويخليهم انتظار

ضحك أحمد بشدّة واهتز جسده من عبارتي وهو يقول :

-والله حلو الاسم اللي سميته للمديرين المساعدين دول .. لأ ولايق الصراحة عليهم بس عاوزك تبقى تقولي من فيهم جولدا ومين بن جوريون

ضحك حتى كاد يقع على ظهره قبل أن يكمل قائلا :

-المهم لو لقيت نفسي فاضي هأعدي عليك النهاردة

أجبته وأنا أصعد السلم :

-تمام يا كبير .. يلا سلام

دفتر حضور الفترة المسائية يكون دائمًا متواجدًا في غرفة الاستقبال .. ذهبت للتوقيع فلم أجده فعرفت أنه مازال في حجرة دكتورة تقى ولم يقم أحد بإنزاله .. صعدت في اتجاه المكتب حتى أقوم بإحضار الدفتر والتوقيع فيه.

في حجرة تقى وجدت جميع العاملين متكدسين في انتظار توقيع الانصراف .. كان تفتيش المنطقة اليوم من نصيب دكتورة زينات الخرايرجي مديرة إدارة الأساس والمتانة .. وجدتها جالسة أمام الدفتر وهي تتحدث مبتسمة مع بعض الطبيبات .. لم أحب تلك المرأة منذ النظرة الأولى .. أحسستها كاذبة وتظهر عكس ما بداخلها .. على الرغم من أن وجهها الممتلئ الشبيه بتلك الدمية المحببة للأطفال وهم صغار يعطيها ملامح طيبة .. إلا أنني لم أشعر نحوها بذلك

لم تكن دكتورة تقى بالطبع في المكتب .. علمت من ديانا أن العلاقة بين زينات وتقى متوترة جدًا وقد قامت تقى قديمًا عندما كانت طبيبة عادية بتقديم الكثير من البلاغات ضد زينات عندما كانت تدير المركز قبل أن تتركه وتتولى إدارة البي بي ثم إدارة الأساس والمتانة من بعد ذلك لأسباب إدارية خاطئة كانت تنتهجها زينات .. كما أن زينات كانت تشعر بالغيرة من تقى لأنها أكملت ونالت درجة الماجستير بينما هي ما زالت ممارس عام .. ربما كان الخلاف بين تقى وزينات هو ما جعلني اتخذ ذلك الموقف من زينات ولكنني لا أشعر أن ذلك هو السبب الحقيقي وراء شعوري .. كان السبب فقط هو ذلك الشعور بعدم الود والذي زُرع فيّ أول مرة قابلت فيها زينات الخرايرجي.

ألقيت التحية عامة وأنا أدخل والتقطت دفتر المسائي لأخذه معي إلى الاستقبال ولم أنتظر كثيرًا بعدها حتى لا أخلق للبعض فرصة للحديث ونزلت باتجاه غرفة الاستقبال وبحوزتي الدفتر .. ألقيت في طريقي نظرة سريعة على من متواجد معي في النوبتجية .. وجدت أن روينا الدريني هي طبيبة الأسنان وجرجس ميخائيل هو التمريض .. علمت أنني سأكون مع عم جرجس فقط في النوبتجية لأن روينا لن تحضر كعادتها في كل نوبتجية

وصلت غرفة الاستقبال لأجد عم جرجس جالسًا على كرسي .. اتجهت إليه قائلًا :

-صباح الخير يا عم جرجس .. أخبارك إيه ؟

أجابني الرجل :

-الحمد لله يا دكتور .. نشكر ربنا .. هو دفتر المسائي مع حضرتك ؟

ناولته الدفتر فأخذه مني وقام بالتوقيع أمام اسمه قبل أن يسألني:

-هو حضرتك هتقعد فين ؟

أجبته في عدم فهم :

-فين إزاي يا عم جرجس .. هو مش الدكتور النباطشي لازم يقعد في أوضة الاستقبال

ابتسم وهو يجيبني :

-ده اللي مفروض .. بس ممكن حضرتك لو تحب تقعد في العيادة فوق أو في سكن الدكاترة وأنا لو جت حالة وده ما بيحصلش هأنادي على حضرتك ..ولو حصل وجه تفتيش برضه هأطلع لحضرتك أو لو عند حضرتك مشوار أو حاجة ممكن حضرتك تروحه وأنا هأغطي عليك

سحبت كرسيا مريحًا وأنا أضعه بجوار وصلة الكهرباء وأقول في بساطة :

-خلينا هنا يا عم جرجس ما دام ده المفروض .. أصلي ما بحبش حد يمسك عليا حاجة حتى ولو كانت هايفة .. أنا هأقعد هنا وأهو الكرسي جنب فيشة الكهرباء وهأقعد أتفرج على أفلام على الموبايل لحد ما النباطشية تخلص

ابتسم الرجل وهو يقول بصوت منخفض :

-ربنا يسترها ويبعد عننا ولاد الحرام .. أنا هأطلع أعقم الأدوات وبعد كده هأقعد مع المراقبين الصحيين جوه شوية .. لو حضرتك احتجت حاجة نادي عليا بس

ابتسمت له قائلًا :

-تسلم يا عم جرجس .. لو احتجت حاجة هأبقى أكلمك وأقولك

ذهب الرجل فأخرجت هاتفي وقمت بتشغيل فيلم عليه

لم يمر الكثير من الوقت حتى انتهى الفيلم فقمت بتشغيل فيلم آخر وانتهى سريعًا كذلك .. نظرت إلى الساعة لأجدها السادسة مساءً .. لم يأتِ أحمد حتى الآن كما قال لي ولم يأتِ أي مريض كذلك .. أنا وهاتفي وجهاز الضغط والسماعة فقط كنا المتواجدين في غرفة الاستقبال

خرجت لأقف أمام المركز قليلًا وأخرجت علبة سجائري لأخذ منها واحدة أدخنها .. لا يصدق أحد أن المركز حاليًا في تلك الساعة هو ذاته نفس المركز في الفترة الصباحية .. كل المحال المجاورة لنا تغلق في ساعة مبكرة ليسود الظلام الشارع تمامًا .. فقط أضواء المركز هي المضاءة ولا يوجد أي صوت باستثناء أصوات نباح الكلاب الضالة والمنتشرة بشدّة في تلك المنطقة من حي الأفاعي القديمة

أكملت سيجارتي ثم ابتعت بعض الطعام من البقالة المجاورة للمركز والوحيدة التي كانت ما زالت تفتح أبوابها حول المركز وعدت ثانيةً إلى غرفة الاستقبال انتظر فيها انتهاء النوبتجية .. أخذت أفكر في جدوى الفترة المسائية في المراكز الصحية .. لا يوجد مرضى يأتون إلى المراكز الصحية في فترة العلاج الاقتصادي .. يفضلون الفترة المجانية حتى يحصلوا على علاجهم الذي لا يفعل لهم شيئًا بالمجان .. إذن لماذا أكلف الدولة كل تلك الأموال فقط من أجل تواجد طبيبين وممرض بلا عمل لست ساعات وربما أكثر في بعض الأماكن التي تطبق نظام اليوم الكامل .. لماذا لا أكتفي بتلك النوبتجيات في المستشفيات الحكومية الكبرى المؤهلة لعلاج الحالات الطارئة .. لو حدثت معجزة وجاء المركز الآن حالة طارئة مثلًا .. كل ما سأفعله هو التأكد من سلامة المريض ظاهريًا وتوجيه ذوي المريض لأقرب مشفى مجهز لاستقباله

أخرجني صوت أحمد من أفكاري وهو يدخل الغرفة ويقول :

-اللي واخد عقلك يا أبو الشباب

نظرت نحوه في دهشة ثم انفجرت في الضحك !!

كان أحمد يرتدي عباءة فضفاضة وطاقية ويمسك بمسبحة في يده

قلت له ساخرًا :

-اللهم قوي إيمانك يا شيخنا .. إيه اللي انت لابسه ده يا بني ؟؟

أجابني ضاحكًا هو الآخر :

-أنا جايلك من البيت يا عم الحاج .. انت عارف إني ساكن هنا جنب المركز فكسلت أغير وأجيلك .. قلت أنزل بلبس البيت على طول

قلت وأنا أحاول منع ضحكاتي :

-طب كويس يا عم إن ده لبس البيت بالنسبالك .. ربنا ستر

سألني أحمد وهو يغير من دفة الحديث :

-ها يا دوك أخبار النباطشية إيه ؟؟

أجبته :

-خنقة زي ما كنت متوقع .. يا راجل ده أنا شفت فيلمين ولسه الزفتة دي ما خلصتش

ضحك وهو يقول :

-عادي عادي .. هي النباطشية دايما عاملة زي السيجارة الكليوباترا .. طويلة وبتّنح وما بتخلصش

أجبته :

-يا سلام على عمق التشبيه .. المهم .. تشرب حاجة

أجابني :

-لا يا عم أنا قلت أعدي عليك قبل ما أجيب العشا وأطلع .. أجيبلك حاجة معايا ؟

أجبته شاكرًا :

-شكرا يا خال لسه جايب أكل من شوية وأكلت خلاص .. أشوفك بكرة إن شاء الله

أجاب وهو يرحل :

-إن شاء الله .. سلام

بعد رحيل أحمد أخرجت الهاتف مرة أخرى وبدأت في تصفح الفيس بوك .. اندمجت على موقع من المواقع الطبية التي أتفحصها حتى أخرجني عم جرجس منه بدخوله إلى الغرفة وسؤاله :

-خلاص كده يا دكتور ولا إيه ؟؟

نظرت إلى الساعة في يدي لأجدها الثامنة إلا الربع فالتفت له وأخبرته :

-ما جتش على الربع ساعة دي يا عم جرجس .. احنا قاعدين من الصبح خلينا نكمل الربعاية دي كمان

اتجه ليجلس أمامي وهو يقول :

-تحت أمرك يا دكتور .. والله عندك حق

جلست أتحدث مع الرجل ولكن حديثنا لم يستمر غير دقائق معدودة قبل أن نجد امرأة غريبة أول مرة أراها تدخل علينا.

امرأة تقترب من إنهاء سنوات خدمتها في العمل العام .. تمسك نوتة صغيرة وقلمًا .. دخلت غرفة الاستقبال من دون إلقاء أي تحية وأخذت تنظر إلينا .. وجدت عم جرجس يقوم سريعًا من جلسته وهو يرحب بها قائلا :

-أهلا يا دكتورة نهير .. اتفضلي

عرفت أنها نهير فوزي .. مدير إدارة خد البزة واسكت وإحدى نواب الدكتورة الدكتورة قلق .. تذكرت كلام ديانا عنها وتحذيرها لي من الحديث في السياسة مع تلك المرأة .. ابتسمت في قرارة نفسي وأنا أتذكر تحذير ديانا .. هيئة المرأة ولباسها يكاد ينطق أنها تنتمي إلى الجماعة الإرهابية الشهيرة التي ابتليت بها البلاد لفترة سوداء من تاريخنا الحديث قبل أن ينتهي أمرهم من العمل السياسي تمامًا .. بالطبع لن أخوض معها أي حوار سياسي فلو علمت فقط بأن عمي هو نائب البرلمان خالد الدروي وعضو الحزب الحاكم وأحد رجال النظام الأقوياء فقد تتخذ إجراء ضدي في أي شيء نتيجة لذلك حتى أنها قد تتهمني بمحاولة الاعتداء عليها في حال افتعالها أي مشكلة معي وردي عليها فيها !!!

وجدتها تتقدم نحوي وهي تنظر لي نظرة شاملة فاحصة قبل أن تتوقف وكأنها وجدت خطأ ما وتقول :

-فين البالطو والآي دي يا دكتور ؟؟

نظرت لردائي في عدم فهم وأنا أقول :

-بالطو إيه يا دكتورة .. ما أنا لابس سكراب طبي كامل ومطبوع عليه اسمي

وجدتها تبتسم ابتسامة مقيتة وهي تهمس بصوت كالفحيح :

-لأ احنا البتاع اللي حضرتك لابسه ده مش معترفين بيه هنا .. إحنا لينا البالطو الأبيض والآي دي المتعلق عليه وبس

ابتسمت في قرارة نفسي وأنا أقرر أن أوجه دعوة على العشاء لشقيقي حسن وزوجته سارة لإصراره على جعلي أقرأ قانون العمل الخاص بالعاملين في المنشآت الطبية قبل أن أستلم العمل هنا في منطقة الأفاعي الطبية وكيف أخبرني أنه سيفيدني كثيرًا في التعامل مع البعض دون الحاجة لإجراء بعض المكالمات الهاتفية والتي يعلم أنني لا أحبذها إلا حين الحاجة الضرورية لها فقط

عقدت يدي أمام صدري لتبرز عضلاتي للأمام قليلًا وأنا أقول :

-والله يا دكتور أنا ما يهمنيش حضرتك تعترفي بيه ولا ما تعترفيش بيه .. اللي أعرفه إن قانون العاملين المدنيين في المنشآت الطبية وتحديدًا الباب الأول الفقرة السابعة بتقول إنه على أعضاء الفريق الطبي من أطباء وتمريض وفني المعمل التواجد في المنشأة الصحية التابعين لها بزي طبي ملائم وبطاقة تعريف لعضو الفريق ومهنته .. أنا لابس سكراب وده زي طبي ملائم والسكراب نفسه مطرز عليه اسمي ووظيفتي وده يعتبر بطاقة تعريف ليا .. بمعنى آخر يا دكتور أنا متواجد في محل عملي وملتزم بالزي والآي دي .. في أي ملاحظات تانية عند حضرتك ؟؟

لجمها ردي .. أخذت تنظر لي وهي رافعة لحاجبها منفتحة الثغر .. يبدو أنها الأخرى لم تعتد أن يناقشها أحد كالدكتورة إلحاد والتي أخذت مني من قبل ما تجوّدَ به النصيب عليها .. ساد الصمت بيننا للحظات قبل أن يرن هاتفي نغمة تنبيه لتعلن حلول الساعة الثامنة وانتهاء النوبتجية.

تناولت حقيبتي الصغيرة ووضعتها على ظهري وأمسكت بالقلم وفتحت دفتر الفترة المسائية ووقعت أمام خانة الانصراف ثم التفت ناحيتها وأنا أقول :

-عن إذن حضرتك يا دكتورة

لم انتظر ردها واتجهت نحو باب الغرفة لأجدها تقول من ورائي :

-إيه ده يا دكتور رامز ؟؟ حضرتك رايح فين ؟

نظرت إلى ساعتي ثم نظرت إليها وأنا أقول في بساطة تعمدت أن تكون مستفزة :

-إيه رايح فين دي يا دكتورة .. مروح بيتي هأكون رايح فين يعني .. مواعيد العمل انتهت والقانون بيمنع تواجد أي موظف في محل عمله بعد ساعات العمل الرسمية تحت أي ظرف

صمت للحظة ثم أكملت وأنا أضغط جيدًا على مخارج كلماتي :

-ده غير إن القانون بيعاقب أي مدير بيجبر الموظف على العمل أو حتى التواجد في محل عمله بعد انتهاء ساعات العمل الرسمية وبيتعامل مع الموقف ده على إنه احتجاز للموظف ضد رغبته ودي بقى يا دكتورة فيها حبس ما يقلش عن خمس سنين تقريبًا.

وجدتها تنظر حولها ثم تقول لي :

-هتسبني لوحدي يعني ؟؟

أجبتها مبتسمًا لانتظاري ذلك السؤال :

-والله يا دكتور حضرتك اللي جاية تفتشي علينا الساعة ثمانية إلا خمسة .. مش جاية بدري شوية عشان أعرف أضايف حضرتك كويس .. يعني بمعنى آخر حضرتك جاية تشطبي علينا مش جاية تقعدي معانا

لأن العادي إننا ممكن نكون مشينا ربع ساعة بدري زي الناس اللي جم الصبح في الفترة الصباحية .. عمومًا مش هنتكلم كتير بعد إذنك حضرتك معطلاني وأنا مرتبط بموعد هام جدًا .. عن إذن حضرتك

تركتها واتجهت ناحية بوابة الخروج من المركز قبل أن التفت إليها وأردف :

-بعد كده يا دكتورة لو حضرتك هتيجي تفتيش عليا في نباطشية تاني فأنا ما بأزوغش فيا ريت حضرتك تجيلنا بدري شوية عشان ما اضطرش أمشي واسيب حضرتك تقفلي المكان لوحدك زي ما هأعمل النهاردة كده.

نطقت بكلماتي الأخيرة وأعطيتها ظهري لأرحل تاركًا إياها لوحدها وأنا أشعر بفحيحها الغاضب يصل إلى مؤخرة عنقي ونباح الكلاب يرتفع من خلفي

***

الأفعى المضيفة

هي أفعى كبيرة جدًا وذات جسد ثقيل وسميك للغاية

خذ حذرك منها فهي تتحرك بسهولة ويسر ليلًا والجميع نيام

وقد تجدها نائمة بجوارك على الفراش

صراعات طبقية

في اليوم التالي لم يكن هناك حديث في منطقة الأفاعي الطبية غير عن ما فعلته مع دكتورة نهير فوزي مديرة إدارة خد البزة واسكت في نوبتجيتي بالأمس

أخبرني أحمد أنها بعد أن تركتها وحيدة في المركز ورحلت عقب انتهاء مواعيد العمل الرسمية قامت بالاتصال به وطلب منه المجيء إلى المركز حتى يقوم بغلقه وتوصيلها إلى نهاية الشارع لأن الدكتور المحترم تركها وحيدة ورحل .. ضحكت بالطبع عندما أخبرني بذلك الأمر وشرحت له الموقف وكيف أنها جاءت متأخرة وكانت تتعمد أن تجد أي خطأ لي على الزي الطبي الذي كنت ارتديه حتى تقوم بتحويلي إلى التحقيق أو إعطائي جزاء بالأمر المباشر ولهذا كان تصرفي معها بذلك الشكل.

لم أهتم بالأمر كثيرًا ودخلت عيادتي حتى أنهي عملي مبكرًا خاصة أنني كنت الطبيب البشري الوحيد المتواجد اليوم .. كانت ديانا قد قامت بأخذ اليوم أجازه اعتيادية بينما كانت سيلفيا مرتبطة باختبار هام في امتحانات الزمالة التي تدرسها

دخلت مدام خوخة العيادة في موعدها وهي تلقي علي تحية الصباح .. رددتها عليها وطلبت منها سرعة إنجاز العمل اليوم حتى لا نقوم بتعطيل المرضى لأنها ليست مشكلتهم أن هناك طبيبٌ واحدٌ فقط في المركز .. وهو ما فعلته خوخة بلا نقاش

أصبحت أشعر في الأيام الماضية وبعد صداماتي المتكررة مع بعض مديري الإدارات أن بعض العاملين بالمركز وخاصة التمريض صاروا يخشوني وينفذون ما أطلبه منهم في حدود العمل بيننا فقط .. لم

يشعرني الأمر بالضيق على الإطلاق بل بالعكس أنني وجدت فيه بعض الراحة النفسية

في تمام الساعة الحادية عشر ظهرًا كنت قد انتهيت من الكشف على جميع المرضى .. أكثر من ثمانين مريضًا أنهيتهم في ساعتين .. قررت أن أقضي الثلاث ساعات المتبقية على موعد الانصراف في فترة راحة سلبية وأنا أقرأ أي رواية من الروايات المحفوظة على ذاكرة هاتفي

أمسكت هاتفي وقبل أن أفتحه وجدت تارا سكرتيرة دكتورة تقى تطرق باب العيادة وهي تقول :

-دكتور رامز .. دكتورة تقى عايزة حضرتك

أعدت هاتفي إلى جيبي مرة أخرى وذهبت باتجاه غرفة دكتورة تقى .. طرقت الباب ودخلت وأنا ألقي التحية عليها .. كانت بمفردها في المكتب على غير العادة .. كانت دكتورة عفت غير متواجدة بالمركز اليوم .. يبدو أنها قررت أخيرًا أن تستفيد برصيد أجازاتها الضخم والذي يقترب من الألف يوم قبل أن تبلغ فترة المعاش الإجبارية قريبًا كما سمعت مدام خوخة وهي تتحدث عنها في اليوم السابق.

استقبلتني الدكتورة تقى متسائلة :

-إيه اللي انت عملته امبارح ده يا مجنون ؟؟

رددت عليها السؤال بسؤال :

-عملت إيه يا دكتورة ؟؟

أجابتني وهي تضحك :

-اللي عملته مع الدكتورة نهير فوزي امبارح

ضحكت وأنا أجلس أمامها وأقول :

-ما عملتش حاجة والله يا دكتور .. هما اللي بيجولي .. دي واحدة جاية تفتش عليا قبل ميعاد الانصراف بخمس دقائق .. يعني بمعنى تاني دي جاية تشطب عليا لأن ما فيش حد بيقعد للساعة ثمانية بالضبط وبعدين دي أول ما دخلت .....

قاطعتني تقى قائلة :

-انت بتدافع عن نفسك ليه يا رامز .. هو انت فاكر إني زعلانة من اللي انت عملته مع الولية دي امبارح

سألتها :

-أمال إيه يا دكتور ؟

أجابتني :

-لأ خالص على فكرة .. ده أنا مبسوطة جدا ومتكيفة من اللي انت عملته امبارح .. كذا مرة أقولها تبطل غتاتة على الدكاترة الصغيرين وهي ما فيش فايدة .. انت عارف دي لما كانت دكتورة عادية كانت كل يوم تمشي على الساعة حداشر وكانت لما تاخد نباطشية كل فين وفين تيجي تمضي وتمشي

نظرت لها متعجبًا ثم قلت :

-أهو .. يعني حلال عليها وحرام على اللي بيمشي مننا

ضحكت وهي تقول :

-انت عارف إنها كلمتني امبارح ساعتين

سألتها :

-خير إن شاء الله ؟

أجابت وهي تصبُّ لي كوبًا من النسكافيه وتقول :

-كانت على آخرها وقعدت تشتكيلي منك وتقول عليك تنك وأنزوح وشايف نفسك أوي وكانت عايزة تعمل فيك مذكرة وتقدمها للشئون القانونية

ابتسمت وأنا أسألها ساخرًا :

-وهتقول فيها إيه بسلامتها ؟؟ هتقول إني مشيت من المركز بعد مواعيد العمل الرسمية ولا هتقول إنها مش عارفة إن السكراب يعتبر زي طبي زيه زي البالطو بالضبط .. وبعدين أنا مش تنك يا دكتورة هما اللي شايفين في تعاملي العادي تناكة وأنزحة .. يعني المشكلة عندهم مش عندي أنا خالص

أجابتني ضاحكة :

-ما أنا قلتلها الكلام ده .. وقلتلها كمان إنها ما لهاش عندك غير شغلك والتزامك وبس .. وانت في الفترة اللي فاتت من أول استلامك الشغل وانت أكتر دكتور شغال وأكتر واحد ملتزم سواء في الحضور والتواجد أو في المظهر العام .. ده غير إني قلتلها إنك واصل

غمزت لي بعينها بعد تلك العبارة إلا أنني تجاهلت تلك النقطة .. أمسكت كوب النسكافيه وأنا أسألها :

-هما المديرين المساعدين دول يا دكتورة ليه كده .. ليه بيهتموا بقشور الأمور وسايبين بواطنها .. ده أنا من أول ما جيت ما فيش واحدة اتكلمت معايا في بروتوكول عمل أو ازاي نحسن من نوعية وكفاءة الخدمة اللي بنقدمها للمرضى .. كل اللي بيتكلموا فيه حضور وانصراف وتواجد وبالطو وآي دي .. معلهش يعني .. بس إيه الهيافة دي ؟؟

استمرت في الضحك ثم قالت :

-هما كده يا رامز .. شايفين إنهم كده بيكونوا مهمين وشاطرين في الإدارة .. ما يعرفوش إن الإدارة في المقام الأول هي ازاي أتعامل مع مختلف العاملين بطرق مختلفة حسب شخصية كل واحد عشان أخرج منه أحسن شغل ممكن يطلعه .. يعني مثلا مش هتعامل مع رامز بنفس الطريقة اللي هتعامل بيها مع أحمد أو ديانا و.....

قطعت تقى حديثها على دخول مدام فادية الرهوان أخصائية المرتبات والتي قامت بتسليمي العمل وهي تصرخ قائلة :

-الكلام ده ما ينفعش يا دكتورة تقى .. الدكتور برهومة العاشق وشلته اللي في الأسنان ما بيجوش خالص وحضرتك مدياهم نص تقييم .. أنا آسفة بس دول ما لهومش تقييم عندي .. ده حرام .. وبعدين هما محتاجين فلوس .. دول يقدروا يصرفوا على المركز أصلًا

استمرت مدام فادية في الصراخ والقول بأن الدكاترة لا تستحق التقييم ولا المرتبات التي يأخذونها وأنهم ليسوا في حاجة إلى المال ما داموا لا يأتون إلى المركز ويبحثون عن أي فرصة تجعلهم يقومون بالهرب من المركز.

وجدت نفسي أتدخل في الحوار وأنا أسأل :

-أنا آسف على تدخلي يا مدام فادية .. بس هو حضرتك اللي بتحطي التقييم

أجابتني مسرعة :

-لأ طبعا .. دكتورة تقى هي اللي بتحطه

سألتها مرة أخرى :

-طب حضرتك اللي بتديهم مرتباتهم من جيبك

أجابتني مرة أخرى :

-لأ طبعا .. دي فلوس الحكومة

ابتسمت وأنا أقول :

-خلاص يا مدام فادية .. إيه المشكلة بقى .. مديرتهم مقيماهم بتقييم معين وحضرتك ما بتديهومش حاجة من جيبك .. زعلانة ليه .. اعملي شغلك وما لكيش دعوة بحد

وجدتها تنطلق في الحديث بلا توقف وتقول :

-يعني إيه يا دكتور ما ليش دعوة .. هو حضرتك ما بتشوفهومش ولا إيه .. كل واحد فيهم راكب عربية بالشيء الفلاني وماسك أجدد موبايل بالشيء العلاني .. طب بالذمة دول محتاجين الشغل .. متمسكين ليه بشغل الحكومة ما يسيبوه للي محتاجه .. كل واحد فيهم عنده بابي ومامي جايبينله كل حاجة ومجهزينلهم عيادات وشقق يتجوزوا فيها .. كمان جايين على رزق الغلابة ومشاركينهم فيه .. انت مش فاهم يا دكتور دول أصلا معظمهم جامعات خاصة أم كذا ميت ألف في السنة يعني مش محتاجين الملاليم اللي بنقبضها هنا يبقى متمسكين بيها ليه ولما أخصم حاجة من حد فيهم يجي ويشتكي ويقدم فيا مذكرة .. بذمة حضرتك ده يبقى عدل .. حضرتك عندك دكتور فهيم ده أبوه عنده مصنع أساتيك .. يعني يقدر يفتحله عشرين مركز زي مركزنا ده .. يبقى ليه ابنه متمسك بالشغل اللي هنا إلا لو هما عاوزين يشاركوا الغلابة في كل قرش في البلد دي

صعقت من حديث المرأة .. كل هذه الكمية من الغل والحقد والإحساس بالدونية في قلبها .. ما ذنب هؤلاء الأطباء إن كانت الحالة المادية لعائلتهم جيدة .. هل سألت نفسها كم تعب أهالي هؤلاء الأطباء لتوفير حياة كريمة وتعليم جيد ومستقبل شبه مضمون لأبنائهم .. هل تعلم أنه ربما هناك منهم من لم يستطع دخول كلية حكومية بسبب

نصف درجة فبدلًا من أن يضيع حلمه بالالتحاق بالكلية التي يحلم بها كالكثير والكثير من زملائهم قام والده بإلحاقه بإحدى الكليات الخاصة وتكفل بعشرات الآلاف سنويا حتى يحقق حلم نجله

كنت أعلم أنه ولا بد من أن يكون هناك بعضًا من الصراعات الطبقية في كل مكان عمل بين الأفراد المتواجدين فيه .. الكل ينظر للكل دون أن يعرف كنه الحقيقة .. يرى أحد الأفراد زميله يحمل هاتفًا جديدًا أو يركب سيارة جديدة فيقول في نفسه أو على الملأ " تلاقي الحاجة اللي جايبهاله أبوه " .. لا يفكر أنه ربما يكون قد استدان حتى يستطيع شراء ذلك الهاتف أو تلك السيارة .. ثم ما دخل الزواج بالعمل ..لماذا تجمع بينهما ؟ .. كيف أنه ما دام والده يستطيع تزويجه فهو ليس بحاجة إلى العمل ؟ .. لا أحد يتزوج حاليًا من دون مساعدة أسرته .. من أين لشاب حديث التخرج من أي كلية كانت أن يقوم بشراء شقة لا تقل بأي حال من الأحوال عن النصف مليون من دون مساعدة والديه .. أصبح ذلك العرف في البلاد منذ أكثر من ربع قرن .. من يساعده والداه يستطيع الزواج ومن لا يقدر والداه على مساعدته يتأخر زواجه وقد لا يتزوج على الإطلاق ويستمر في الحياة برفقة عائلته

ليست المشكلة هنا النظر إلى الآخرين .. لماذا لا نترك كل شخص في شأنه .. نحن في عمل حكومي ويحكمنا فقط القانون .. عندما لا يلتزم طبيب يقوم مديره بالخصم من راتبه حسب القانون ولائحة العمل وعندما يتكرر عدم الالتزام يقوم برفع مذكرة بشأنه لمن هو أعلى منه وانتهى الموضوع على ذلك من دون التطرق للحياة الشخصية والعائلية للطبيب واعتبارها مشاع عام للجميع.

نظرت إلى مدام فادية ولم أدرِ ماذا أقول لها .. صمت قليلًا وأنا أفكر ثم قلت :

-بصي يا مدام فادية .. من غير ما نقول بابا وماما جايبينلهم إيه وعامليلهم إيه .. دي حاجات خاصة ما لناش دعوة بيها .. وربنا

سبحانه وتعالى نفسه قال في كتابه الحكيم " وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ " .. بصي يا مدام فادية حضرتك طبقي القانون واللائحة على طول .. اللي ما يحضرش أو يتجاوز نسبة الغياب القانونية اخصمي منه على طول من غير كلام .. والتقييم ده متروك لدكتورة تقى هي عارفة كويس مين بيشتغل ومين ما بيشتغلش ده غير نظرتها في اللي قدامها .. فنصيحتي ليكي خليكي في شغلك أحسن

صمت ثانية ثم أردفت وأنا أضغط على أحرف كلماتي جيدًا :

-بدل ما تقولي كلام ممكن حد ياخده عليكي ويقدم فيكي شكوى في المديرية أو الوزارة أو حتى بلاغ في القسم ويقول فيه إن حضرتك بتضطهديه

نظرت لي المرأة من تحت نقابها لثوانٍ قليلة وهي تصدر فحيحًا غاضبًا قبل أن تستأذن من الدكتورة تقى وتعود إلى حجرتها مرة أخرى

نظرت لتقى من دون أن أتحدث لدقائق قبل أن تكسر هي الصمت وتقول :

-عادي جدا اللي حصل قدامك ده على فكرة وبيحصل أكتر منه ما بين الموظفين وبعض .. بس ما حدش يقدر يمنعه

قلت لها :

-على فكرة .. ولاد الناس اللي ممكن يكونوا حرامية في وجهة نظرها ونهبوا البلد مش هييجوا المكان هنا .. احنا مش أملة أوي يعني .. حضرتك عارفة كويس إنهم بيروحوا حتت تانية مختلفة خالص

أومأت برأسها وهي تقول :

-عارفة .. بس انت مش هتقدر تخرس ألسنة الناس .. ربنا يهدي

نظرت لها في صمت وأنا لا أجد ما أقوله على ما حدث

أفعى المرجان الشرقية

هي أفعى متوسطة الحجم تتميز بزوج من الأنياب الثابتة في الجزء الأمامي من الفم والتي تخرج من خلالها السم

لا يغرنك لونها الجميل ولا خجلها فهي من أكثر الأفاعي سمية .. وخطورة

صراعات سياسية

-في ميتنج يا دكاترة فوق في قاعة الاجتماعات كمان ربع ساعة

نطقت تارا سكرتيرة الدكتورة تقى بتلك الجملة وهي تقف عند مدخل عيادة الباطنة ولم تقف طويلًا بل اتجهت نحو عيادة أخرى لتقول نفس الجملة

التفت إلى ديانا لأسألها عن معنى ما قالته تارا فأجابتني :

-دي شركات الأدوية المختلفة بييجوا هنا يعملوا ميتنج للدكاترة عشان يعرضوا أدويتهم وكده يعني .. تقدر تقول شغل ماركتنج

سألتها في ملل :

-يااااااه على الخنقة .. هيقعدوا يقولوا إن الدواء بتاعهم ما فيش زيه وإنه بيعالج كل الأمراض .. ده غير إنه أرخص دواء موجود في السوق وإننا لازم نكتبه .. بقولك إيه .. أنا مرارتي والله مش مستحملة وفي خطر على مستقبلي الإنجابي .. هو أنا لازم أحضر ؟؟

أجابتني ديانا ضاحكة :

-بص يا رامز أنا كمان بتخنق من الحوارات دي .. بس تقى هي اللي باعتلنا فلازم على الأقل واحدد مننا يطلع .. بص يا تطلع تحضر الميتنج ده يا تقعد تعمل بيان الرصد اللي عاوزاه دكتورة زينات الخرايرجي

نظرت لها وأنا أرد في سرعة :

-لأ طبعا هأطلع أحضر البتاع ده .. انتي عارفة إن أنا باتحاشى كل المديرين المساعدين في الفترة دي ومش عاوز أحتك بأي واحدة فيهم بعد اللي حصل مع إلحاد ومع نهير .. كفاية الجوز دول لحد دلوقتي.

تراجعت في مقعدها باسمة وهي تقول :

-خلاص يا عم رامز .. يلا اطلع انت احضر الميتنج وأنا هأعمل البيان ده

تركت ديانا لتقوم بعمل بيان الرصد الذي طلبته منها دكتورة زينات الخرايرجي .. صرت في الفترة الماضية أحاول تجنب العاملين بالمركز .. بعد صداماتي المتكررة الغير مقصودة مع معظم مديري الإدارات بالمنطقة وبعض العاملين وجدت أن الأمر أصبح لا يطاق .. أصبحتُ لا يمر علي يوم في تلك المنطقة الطبية من دون حدوث أمر ما أو موقف مع أحد العاملين بالمكان .. أصبحت أدخل المكان وأنا أتساءل في نفسي عن من سأصطدم به اليوم .. لذا قررت أن أتحاشى الجميع وأركز في عملي فقط

وصلت إلى قاعة الاجتماعات في الدور العلوي بالمركز .. طرقت على الباب طرقة خفيفة وقمت بالدخول .. تفاجأت بوجود كل العاملين بالمركز تقريبًا من أطباء وغيرهم .. أفهم سبب وجود الأطباء ولكني تعجبت من وجود الناصحات الطبيات .. ربما للوجبات التي توزعها تلك الشركات يد في حضور كل ذلك الجمع ولكن من فاجأني بالفعل هو دكتور إسحاق عبد ربه مدير إدارة الأسنان وبلاويها

كان يجلس برفقة دكتور عمرو دياب وطبيب آخر أعتقد أنه يدعى فريد .. وجدت أنه من الذوق والكياسة أن أجلس برفقتهم وأن لا أجلس بجانب النساء واللائي كن يشغلن أكثر من تسعين بالمائة من مساحة القاعة

ألقيت عليهم التحية وأنا أجلس على مقربة منهم .. أخرجت هاتفي لأتابع هوايتي في تصفح صفحات التواصل الاجتماعي المختلفة .. كان دكتور إسحاق يجلس بينهما وهو يتحدث كأنه يعطيهما درس أو يشرح لهم قضية ما .. لم أهتم بحديثهم قبل أن أجده يسألني :

-إيه رأيك في اللي قلته يا دكتور رامز ؟؟

خرجت من اندماجي مع هاتفي وأنا أسأله :

-معلهش يا دكتور إسحاق ما كنتش مركز مع حضرتك .. أؤمرني

سألني مرة أخرى :

-كنت بسألك إيه رأيك في اللي بقوله ؟

رددت عليه السؤال بسؤال قائلًا :

-اللي هو إيه يا دكتور ؟

ضحك وهو يقول :

-لا الظاهر إنك ما كنتش معانا خالص .. كنت بقول للدكاترة إن حال البلد مش هينصلح إلا لو رجعنا للدين ورجع هو الحاكم الوحيد للبلاد ونلغي كل البدع بتاعت الليبرالية والعلمانية وكلام الكفر ده .. وإن دي فرصتنا نخلص من الخمسين سنة اللي فاتوا ونحط إيدينا في إيد بعض تاني

صمت لثوانٍ قليلة وأنا أحدث نفسي وأفكر في مخرج من تلك الأزمة المفاجئة .. يبدو أن الدور قد أتى على دكتور إسحاق .. حذرتني ديانا من قبل من الحديث مع الرجل في الدين أو السياسية فإذا به يخلطهما معًا ليصنع منهما قاذفة قنابل ويطلقها نحوي .. كنت متأكدا من انتماء الرجل هو الآخر لتلك الجماعة المحظورة مثله مثل نهير وزينات وإسعاد إلا أنه دائم المراوغة ويكتفي بأنه فقط محب لها ولعملها الخيري والإنساني وأنه ليس بضلعٍ مؤثرٍ فيها.

أعاد الرجل السؤال مرة أخرى فأجبته في النهاية مضطرًا :

-والله يا دكتور أنا ما بحبش أتكلم في السياسة .. ربنا يولي من يصلح

رفع حاجبيه وهو يقول متعجبًا :

-يعني إيه ما بتحبش تتكلم في السياسة يا دكتور .. انت مش عايش معانا في البلد دي ولا إيه .. بلاش تخاف وقول رأيك بصراحة

نجح الرجل في استفزازي .. الخوف .. تلك الكلمة يا عزيزي ليست في قاموس رامز الدروي على الإطلاق

اعتدلت في جلستي مواجهًا له وأنا أقول :

-لا اطمن يا دكتور .. أنا ما بخافش .. بس أنا ما كنتش عاوز أتكلم في السياسة .. عشان ما حدش يزعل مني .. حضرتك عارف دلوقتي إن الموضة ما بقتش الخلافات الكروية وبقت الاختلافات في الانتماءات السياسية

نظر لي في تحدّ وثقة وهو يقول :

-لأ .. اطمن .. ما حدش هيزعل منك .. احنا بنتناقش عادي

ابتسمت بجانب فمي وأنا أقول :

-طب الحمد لله إننا هنتناقش بس .. كده بقى أجاوب حضرتك

التقطتُ نفسًا عميقًا وأنا أقول :

-حضرتك بتقول إننا نرجع للدين .. صح ؟؟

أومأ برأسه في هدوء فأكملت قائلا :

-أي دين حضرتك تقصد ؟

وجدت عمرو دياب ينتفض من مقعده وكأن أفعى لدغته في أعز ما يملك وهو يتمتم :

-استغفر الله العظيم .. استغفر الله العظيم

لم ينبس إسحاق بكلمة أو يقوم بردة فعل كما قام تلميذه المقرب .. استقبل الضربة الأولى مني وراح يفكر في هدوء في كيفية ردها .. استمر صمته لثوان قبل أن يقول :

-مش فاهمك يا دكتور .. ممكن تشرح

ابتسمت لدهاء الرجل ومدى مكره قبل أن أجيبه :

-على حسب معلوماتي الصغيرة يا دكتور إننا ما كفرناش .. لسه الدين الإسلامي هو الدين الرسمي للدولة كلها .. ولسه الأذان بيترفع في المساجد .. حتى التليفزيون لسه بينقل صلاة الجمعة كل أسبوع من جامع مختلف .. ولسه بنصوم رمضان والدولة بتبعت بعثات رسمية للحج .. بس على حسب ما فهمت حضرتك تقصد إننا نرجع لدولة الدين .. الخلافة يعني .. يا ترى اللي فهمته كان صح ولا حضرتك تقصد حاجة تانية ؟

أومأ برأسه في هدوء فأردفت قائلًا :

-أنهي خلافة بالضبط بقى حضرتك تقصد .. خلافة بنو أمية ولا بنو العباس ولا خلافة أبناء محمد الفاتح

ابتسم وهو يسألني :

-وليه ما تقولش نرجع لخلافة الخلفاء الراشدين

تفاديت ضربته التي سددها وأنا أسأله :

-اللي انتهت بأعظم فتنة شهدتها الأمة الإسلامية وكانت السبب في أول اقتتال داخلي بين المسلمين وإراقة الدماء على الأرض المقدسة

تجمدت ملامح وجهه لثوان من إجابتي .. ربما لم يتوقع الرد أو أنه لا يجد حاليًا ردًا محايدًا يناسب ما قلته .. استمر الصمت للحظات قبل أن يكسره عمرو بسؤاله :

-يعني حضرتك شايف يا دكتور إن حكم الدين فاشل

نظرت له مبتسمًا وأنا أجيبه :

-أنا ما قلتش كده على فكرة .. بص يا دكتور عمرو .. الخلاف اللي حصل في عهد الخلفاء الراشدين كان في المقام الأول خلاف سياسي مش ديني .. اصطبغ بعد كده بالدين .. أحب أعرفك إن قتلة عثمان كانوا بيقولوا عليه كافر وهو ذي النورين وثالث المبشرين بالجنة .. بص تعال نخلي الدين على جنب شوية .. إيه رأيك تقولي تجربة دينية واحدة ناجحة في حكم دولة في العالم كله .. ناجحة يا دكتور عمرو يعني تكون الدولة متقدمة وقوية اقتصاديًا

أجابني إسحاق في سرعة وحسم وهو يتوهم أن الفرصة قد سنحت له لمجابهتي الحديث :

-تقدر تقول حاجة يا دكتور عن بلد الخلافة .. الإخوة هناك وصلوا الحكم ولسه مستمرين والدولة ما شاء الله عليها في تقدم مستمر بسبب الحكم الإسلامي .. دول وقفوا قدام محاولة انقلاب فاشلة عشان يثبتوا حكم الإخوة

ابتسمت من حديث الرجل المستقى من خطب الجمع التي يحضرها في مساجدهم .. اعتدلت في جلستي وأنا أقول :

-مين قال لحضرتك إن الحكم في بلد الخلافة إسلامي .. دي دولة علمانية وما حدش يقدر يغير في دستورها .. ده كل بيتين دعارة هناك يا دكتور في بينهم بيت دعارة .. والنسوان هناك معروضة في فتارين .. كل الحكاية إن " إخوانكم " هناك أذكياء .. مش زي اللي هنا .. لما وصلوا للحكم ما انسرعوش على المناصب والتمكين ونسوا الشعب .. بالعكس .. كانوا عارفين إنهم مسكوا البلد اللي صدرت مفهوم الانقلاب العسكري للعالم فكان رهانهم على الشعب .. حسّنوا من الأجور ومن مستوى المعيشة .. وفروا السلع الأساسية وما اعتدوش على حرية المواطنين سواء بالقول أو بالفعل .. خلوا اقتصاد بلدهم من أكثر الدول نموًا في العالم .. ونجحوا في ده للدرجة اللي خلت الشباب العلماني والشارع كله يقف في صفهم ويدافع عنهم لما حصل محاولة انقلاب فاشلة هناك من كام شهر .. ف لأ يا دكتور الحكم في بلد الخلافة مش حكم ديني على الإطلاق

صمت إسحاق تمامًا ولم يجد ما يقوله ففضلت أن استمر في توجيه الضربات له بلا توقف فأكملت حديثي قائلًا :

-حتى التجربة بتاعت جماعتكم لما حطينا إيدينا في إيديكم وادناكم الفرصة عشان تثبوا نفسكم وإنكم أحسن من غيركم، أثبتم فيها فشلكم وإنكم أسوء من الحكم العسكري وما حدش هيفتكر من تجربتكم دلوقتي غير إنها كانت فترة سوداء في تاريخ البلد

انتفض هنا الرجل وهو يقول :

-لأ يا سيدي الفاضل .. دي كانت من أفضل الفترات الاقتصادية في تاريخ البلد .. وكان المناخ الديمقراطي يشهد له القاصي والداني .. كان الجميع من حقه انتقاد رئيس البلاد وإنهم يعبروا عن رأيهم بمنتهى الحرية والديمقراطية .. مش أحسن من غلاء الأسعار الموجود دلوقتي

وسياسة تكميم الأفواه اللي شغالة .. فاكر كيلو المانجا كان بكام يا دكتور ؟؟

ابتسمت وأنا أجاوبه :

-لأ والله يا دكتور أنا فاكر كيلو الطماطم كان بكام .. الأزمة الاقتصادية دي عالمية يا فندم .. حضرتك مش لسه بتتكلم عن دولة الخلافة .. ما تقولي كده أخبار أسعار البنزين والكهرباء والمياه فيها إيه .. في أخطاء ما بننكرش .. بس كفاية أوي يا دكتور إن الواحد كل يوم بينام من غير ما حد يكفّره أو يطلعه من الملّة .. كفاية إن الكهرباء ما بقتش تقطع كل خمس دقائق زي الأول .. كفاية إن ما فيش حد دلوقتي بيطلع على التليفزيون يهددنا بالقتل والدم .. كفاية حاجات كتير أوي بس احنا للأسف بننسى .. أما بخصوص سياسة تكميم الأفواه دي .. فأنا شايف إنها مش موجودة بدليل إن حضرتك أهو قدامي بتتكلم وتعارض وما حدش منعك أو قبض عليك .. وبخصوص انتقاد الرئيس فأحب أفكر حضرتك إننا كنا بنستنى خطاباته بالفشار وحبوب الضغط

في هذه النقطة فضلت أن أنهي الحديث الجدلي والذي أعلم عدم الجدوى منه مع أفراد تلك الجماعة وقررت أن أسدد له الضربة القاضية .. فسألته :

-حضرتك تفضل يا دكتور يحكمك حاكم عادل على غير دينك أم حاكم ظالم على دينك ؟

لمحت قطرات من العرق تنبع من جبين الرجل على الرغم من اعتدال الجو في قاعة الاجتماعات .. أخذنا ننظر لبعضنا للحظات قبل أن يقول :

-يظهر يا دكتور رامز إنك مش عاوز الدين يحكم

نظرت لعينيه مطولًا قبل أن أقول :

-دي حقيقة يا دكتور إسحاق .. أنا مش عاوز الدين يحكم .. أنا عايزه يسود في قلوب كل الناس .. ساعتها مش هنحتاج منه إنه يحكم .. لأنه هيكون حاكم

عند نهاية جملتي انطفأت أضواء القاعة قبل أن يظهر شاب في مقتبل العمر يرتدى بزة رمادية اللون ويقف في مقدمة القاعة بجوار جهاز العرض وهو يقول :

-أهلا بيكم يا دكاترة أنا دكتوربيتر جيد من شركة لبوسة الطبية وهأكون معاكم النهاردة في الميتنج ده عشان نتكلم عن منتجات شركة لبوسة الطبية اللي ممكن نحتاج نكتبها هنا في المركز

تراجعت في مقعدي حتى استمع لحديث الرجل .. ألقيت نظرة جانبية على دكتور إسحاق عبد ربه لأجده ينظر لي في بغض شديد وهو يصدر فحيحًا غاضبًا محاولًا امتصاص ما قلته له منذ قليل.

***

الأفعى البورمية

من أكبر الأفاعي في العالم وإحدى الفصائل المعرضة للانقراض

تعيش على الأشجار وسطح الأرض والمياه كذلك .. فهي تتكيف مع مختلف الظروف المحيطة بها

كل الظروف .. وكل الأشخاص

صراعات دينية

ثلاثة أشهر كاملة بلا أي صدامات جديدة في المركز أو المنطقة

فاجئني ذلك الأمر وأسعدني في الوقت ذاته .. ربما كان السبب في ذلك هو أخذي العديد من النوبتجيات أسبوعيًا والتي جعلتها تصل إلى أربع نوبتجيات فيما اقتصرت فترة عملي الصباحية إلى يومين فقط .. وبالطبع وبعد حادثتي الشهيرة مع دكتورة نهير فوزي مديرة إدارة خد البزة واسكت فقد قلّ التفتيش عليّ في نوبتجيتي إن لم تكن قد انعدمت تمامًا .. كذلك أصبح العديد من العاملين في المركز يتحاشونني .. كنت في بداية استلامي للعمل أجد يوميًا قرابة السبعة من العاملين يريدونني أن أقوم بالكشف عليهم .. أو يقومون بأخذ رأيي في حالات تخص ذويهم وبالطبع بعد ذلك تأتي مرحلة صرف الدواء المجاني لهم على أي تذكرة فارغة لمريض لم يقم بصرف دوائه عليها .. انتهت تلك المرحلة تمامًا وأصبح التعامل بيننا رسميًا وفي حدود العمل فقط

دكتور إسحاق كذلك مدير إدارة الأسنان وبلاويها كان يتجنب رؤيتي عقب صدامنا السياسي الأخير والذي وجدت أنه كان المحور الأساسي في حديث كل العاملين في منطقة المراكز الطبية والوحدات الصحية الثلاثة بها لشهر كامل .. بالطبع وجدت نفسي في حديثهم قد أخطأت في حق الرجل وقمت بسبّه وسبّ الدين كذلك وأنني كافر ولم يرني أحد أصلي أي فرض في المركز .. وفي حديث أناس آخرين كان الرجل هو المخطئ وقد قام بالتطاول على رئيسنا الحبيب ونعته بأشنع الصفات وكذلك قد سخر مما يحدث في البلاد وأننا نستحق ما يحدث لنا الآن وأنه يشّمت في الشعب نتيجة لخروجه على الرئيس السابق من الجماعة المحظورة .. بالطبع لم يحدث أي من هذا الهراء لم أخطأ في

حق الرجل وهو لم يخطئ في حق البلاد أو الرئيس ولم يتعد الحديث كونه نقاش بين طرفين متناقضين ولكنه التجويد المعتاد الذي يمارسه ناقلو الحديث في كل وقت وفي كل مكان.

اليوم نوبتجية جديدة في مركز صحة الأفاعي .. تأكدت من وجود أفلام جديدة على هاتفي المحمول لأقوم بمشاهدتها في النوبتجية لأنه وبالتأكيد لن يحضر لي أي مرضى كالعادة وسينتظرون للصباح .. كنت قد عرجت في الصباح على مقر نقابة الأطباء الفرعية حتى أقوم بدفع اشتراكي السنوي وتجديد الكارنيه الخاص بي .. وجدت هناك جمع كبير من الأطباء على رأسهم الطبيب اليساري الشهير والذي يشغل منصب وكيل النقابة وكانوا يتحدثون عن حكم المحكمة الصادر بحق بدل الإعياء والتعب الخاص بالأطباء.

يا الله .. كنت قد نسيت هذا القانون تمامًا واعتقدته دخل في مرحلة المستحيلات مع الرخّ والعنقاء والخلّ الوفي ومرور مباراة في الدوري المحلي من دون خطأ تحكيمي فاجر لنادٍ معين .. كنت كطبيب بشري محترم أتقاضى مرتبًا يناهز الألفين زغلول بقليل .. وكان بدل الإعياء والتعب به يقدر بحوالي تسعة عشرزغلولا !!! أجل كما قرأت .. تسعة عشر زغلول .. ليس هناك أصفار على اليمين من الرقم تسعة .. هو الرقم كما قرأت يتكون من رقمين فقط _آحاد وعشرات ولا يوجد مئات أو آلاف_

تخيل معي ذلك الأمر .. طبيب يتعامل مع مختلف الميكروبات والفيروسات ومعرض لا قدر الله بانتقال أي عدوى خطيرة إليه وتكون سبب في انتهاء حياته أو إصابته بمرض لا علاج له ويتقاضى بدل إعياء وتعب لا يكمل العشرين زغلول .. بينما موظفو البنوك يتقاضون ما يناهز الألف زغلول لأنهم يتعاملون مع النقود القديمة والتي من

الممكن أن تكون سببًا في نقل الأمراض لهم ويتقاضى بعض رجال القانون مبلغًا ضخمًا آخر لتعاملهم مع ورق القضايا القديم والذي عفى عليه الزمن !!!

كانوا يتحدثون أن إحدى المحاكم في البلاد قد رفضت الحكم الصادر من قبل محكمة أخرى بشأن إلزام الحكومة برفع بدل الإعياء والتعب إلى الألف زغلول .. وكان حيثيات الحكم أن الأطباء لا يستحقون ذلك البدل لأنهم يقومون بالكشف على مرضى أصحاء لا علة بهم !!!

كان وكيل النقابة منفعلًا جدًا وهو يتحدث بشأن ذلك الحكم حتى أنه التفت لي وقام بسؤالي عن رأيي في ذلك الأمر من دون سابق معرفة بيننا .. لم أجبه للأسف لأنني كنت متعب بعض الشيء .. الجيوب الأنفية ترهقني بشدّة من فترة ليست بالقليلة وتجعلني أعجز عن الرد أو التعبير في الكثير من المواقف.

أنهيت مشواري في نقابة الأطباء الفرعية وذهبت سريعًا إلى المركز قبل حلول موعد النوبتجية .. كنت دائمًا أحاول أن ألتزم في مواعيدي بقدر الإمكان حتى لا أقوم بإعطاء الفرصة لأي فرد في منطقة الأفاعي الطبية كلها للتفوه بأي كلمة أو تعليق بحقي حتى لا يحدث صراع آخر من أي نوع

قمت بالتوقيع أولًا في دفتر الفترة المسائية الموجود في غرفة الاستقبال ثم صعدت إلى الطابق العلوي لعيادة الباطنة لأقوم بإحضار سماعتي الطبية وكوب النسكافيه الخاص بي من هناك .. قبل دخولي الغرفة فوجئت بصوت بكاء قادم منها

كانت ديانا جالسة وبجانبها فتاة رجحت أنها مايا طبيبة الأسنان من شعرها الذهبي اللامع والتي كانت البطلة الأخرى لموقعة الحمام الثانية

والتي شهدتها في عيادة الأسنان في بداية عملي بالمركز .. نعم كانت موقعة الحمام الثانية وليست الأولى لأن تلك الطبيبة المدعوة أغاني قد اتهمت زميلتها آلاء العكايشي بنفس الأمر منذ قرابة العام وقبل استلامي العمل في منطقة الأفاعي الطبية .. كانت سيلفيا أيضًا تقف على مقربة منهن وعلى ملامحها الغضب الشديد .. وقفت للحظة أمام الباب وأنا أشعر بحرج من الدخول قبل أن أحسم قراري بالرحيل .. استدرت وقبل أن أرحل فوجئت بديانا تقول من ورائي :

-تعالى يا رامز ما فيش حد غريب .. دي مايا زميلتنا في الأسنان

استدرت وأنا أدخل الغرفة وألقي التحية على الجميع قبل أن ألاحظ آثار بكاء على وجه مايا .. جلست وأنا محرج بعض الشيء قبل أن أحسم أمري والتفت إلى مايا وأسألها :

-مالك يا مايا ؟ حد ضايقك أو عملك حاجة ؟ أغاني دي عملت حاجة تانية ؟

هزت رأسها في نفي سريع عرفت بأنه كاذب قبل أن تقول :

-ما فيش يا رامز بس أنا كنت جبت آخري واحتجت أطلع اللي في صدري لديانا وسيلفيا قبل ما أرجع البيت عشان ما اشغلش بال حد من أهلي

نظرت لديانا في عدم فهم فوجدت ديانا تقول :

-مغتتين عليها في العيادة عندها عشان موضوع الحجاب وبيرموا كلام زي الزفت من تحت لتحت .. أسلوب النسوان بتاعهم .. ما انت عارفه

وجدت مايا تندفع في الحديث وتقول :

-دول شوية متخلفين .. أنا عارفة إن لبسي ما بيعجبهومش وبيقعدوا يعلقوا عليه ما بينهم وبين بعضهم .. بس لبسي لا ضيق ولا شفاف ولا محزق .. وبعامل الكل بمنتهى الاحترام في الشغل .. يبقى ما حدش ليه حاجة عندي .. ليه جوز الخيل اللي اسمهم أغاني وسمر دول يقعدوا يقولوا إن ربنا مش هيقبل مني صلاة ولا صوم عشان مش محجبة .. واللي اسمه إسحاق ده يقول في موضوع كانوا بيتكلموا فيه اسألوا مايا ما هي خبرة في البنطلونات

نظرت لها في دهشة شديدة من جرأة الرجل في الحديث مع فتاة لم تتجاوز عامها العشرين غير بعامين .. كنت أعرف أن إسحاق بجانب أنه من المتشددين سياسيًا للتيار اليميني فهو من المتشددين دينيًا كذلك ..ولكنني لم أكن أعتقد أنه قد يبلغ به الأمر إلى تلك الدرجة من التعصب .. لماذا لم يقم بما يأمرنا به ديننا ويحتضن الفتاة التي في عمر ابنته وينصحها بالحسنى .. إن لم يكن يستطيع فعل ذلك الأمر لماذا لا يتركها وشأنها ويتجنب الحديث معها ويترك أمر هدايتها – في وجهة نظره - لله

نظرت لمايا وأنا أسألها :

-وانتي رديتي عليه قلتي إيه ؟

أجابت وهي تنظر للأرض :

-هقوله إيه يعني .. ده راجل أد أبويا .. عيب إني أرد عليه أو أحرجه

نظرت لها في غضب وغيظ مكتومين وقلت :

-بصي يا مايا .. في نوعية من البشر وأنا لاحظت إنهم كتار جدا هنا في منطقة الأفاعي ضرب الشبشب بالنسبالهم متعة وكيف .. بيتكيفوا من الإهانة والتهزيق .. فواجبنا هنا إننا ما نحرمهومش من المتعة دي ..

واحد اتجاوز معاكي كل الحدود وقال الجملة الحقيرة دي كان يترد عليه برد مستفز وجارح يخليه يفكر ألف مرة قبل ما يقولك صباح الخير بعد كده

وجدت سيلفيا تتدخل في الحديث وهي تقول بنبرة لم تستطع إخفاء الغضب فيها :

-دول شوية جرابيع هنا في المخروبة دي .. والعدرا ما فيش حد بيعرف يتعامل معاهم هنا غير رامز لأنه بيديهم بالجزمة فوق دماغهم وما حدش عارف يعمل معاه حاجة .. الكل بقى يخاف منه من أول الدكتورة الدكتورة لحد أم دعدور

نظرت لسيلفيا وأنا أصحح لها قائلًا :

-النظرية مش كده يا سيلفيا والله .. الحكاية كلها إننا هنا كلنا كبار وصغيرين زملاء في الشغل .. ما حدش ليه حاجة عندي غير شغلي والتزامي وبس .. أي حد هيتجاوز حدوده أو يتدخل في حاجات شخصية ما لوش إنه بس يفكر إنه يتدخل فيها كمان مش إنه يسمح لنفسه بالتدخل ده ما يزعلش ساعتها لما يلاقي كرامته ممسوح بيها بلاط المركز والجزمة القديمة نازلة على دماغه .. أنا بأتفاداهم على أد ما أقدر ومش بأتحرش بحد فيهم وواخد جنب من الجميع .. وعلى العكس والله اللي بيحصل وهما اللي بيجولي ويستفزوني فعشان كده بأرد وأبهدلهم

التفت لمايا وأنا أكمل :

-تعرفي يا مايا إن معظم اللي موجودين هنا وبيقولوا قال الله وقال الرسول دول ما يفهموش حاجة في الدين .. باصين دايمًا لربنا إنه جبار وعزيز ومنتقم .. وبينسوا إنه سبحانه وتعالى رحمن رحيم رءوف .. دول ما يعرفوش حتى أصول دينهم .. كل معلوماتهم الدينية جايبينها من خطبة الجمعة اللي غالبا المتشددين هما اللي بيقولوها وخصوصًا في

الزوايا والجوامع الصغيرة .. لما حاولت أسأل واحد فيهم عن أصول الفقه والحديث بصلي وكأني بكلمه في الشاهنامة ولا الميثولوجيا الإغريقية .. انتي مش محجبة ودي مش بتاعتي بس ممكن تكوني عند ربنا أحسن منهم كلهم .. ربنا هو اللي عارف وهيحاسب .. مش احنا

التفت لديانا وسيلفيا وقلت ساخرًا حتى أخفف من وطأة الحديث:

-ما تبصوليش انتوا الاتنين .. انتوا كفار أصلا فما فيش حد هيتكلم معاكم ولا يضايقكم غير المضايقة المعتادة اللي انتوا أكيد اتعودتوا عليها من الحضانة

انفجر ثلاثتهم في الضحك .. ديانا بالضحكة الوقورة العالمة ببواطن الأمور وكيف تجري في منطقة الأفاعي الطبية .. ومايا بضحكة من بين دموعها التي تسبب فيها أحد المتشددين الأغبياء .. وسيلفيا بضحكة مقتضبة تعبر بها عن غضبها الشديد ونقمها على تلك النوعية الغريبة والجديدة من البشر والتي ابتلت بها بلادنا من بعد أن كانوا في طريقهم إلى الزوال

وجدت مايا تلتفت إلي وتقول :

-انت عارف يا رامز .. أنا المفروض ما أقولكش ده بس هقوله .. أنا الحمد لله ما بفوتش فرض وبأصلي الفجر كل يوم .. ممكن أكون مش ملتزمة اوي .. بحب أسمع أغاني ومزيكا .. بحب البرفانات أوي .. بعشق التسريحات الجديدة وإني أغير ستايل شعري كل شوية .. ممكن ربنا يكون زعلان مني بس أنا متأكدة إنه بيحبني والحمد لله إنه هو اللي هيحاسبنا مش حد تاني

ابتسمت وأنا أقول لها في رفق :

-بالضبط كده .. ربنا اللي بيحاسب .. مش أي حد تاني

قلت جملتي الأخيرة وأخذت أفكر في مدى قذارة المستنقع الذي ألقى المرء نفسه به.

الأفعى ذات الجرس

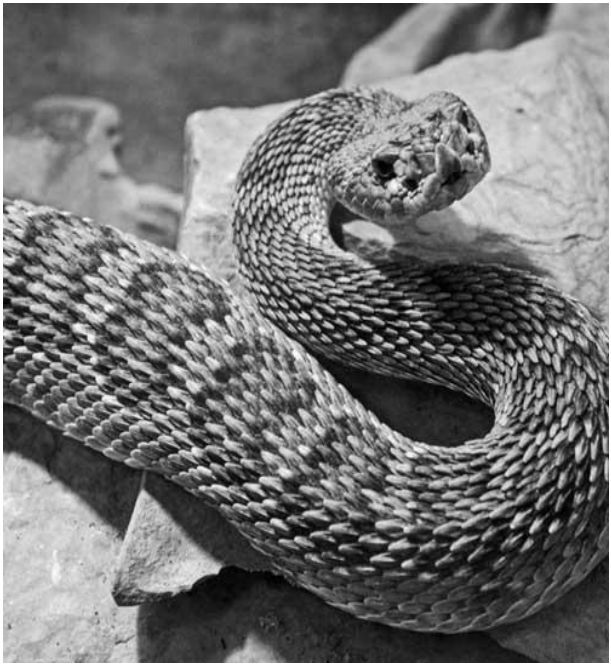

تلقب أيضا بالأفعى المجلجلة لأنها عندما تقوم بالهجوم على فريستها يحدث اهتزاز في نهاية ذيلها بصوت عال يشبه الجرس

احترس منها يا صديقي .. فهي بالفعل خطيرة .. جدا

مفتش صحة الأفاعي

أسبوع كامل قضيته كطبيب نوبتجي في مركز صحة الأفاعي

كنت قد التحقت بدورة تدريبية على إدارة المستشفيات في إحدى الجامعات الخاصة وتحت إشراف وموافقة وزارة صحتين وعافية .. بالطبع لم أفكر في إبلاغ المركز بأمر تلك الدورة حتى يتم اعتمادها كإجازة رسمية كنوع من التعليم المستمر .. ولكني فضلت أن لا أعلم أحدًا بها حتى لا أدخل في احتمالية وجود مهاترات حول مدى قانونية اعتماد ذلك الأسبوع كإجازة رسمية من عدمها وقمت بأخذ ذلك الأسبوع كله ك نوبتجيات حتى يتثنى لي حضور الدورة التدريبية في الفترة الصباحية .. كانوا قد فعلوها من قبل مع دكتور محمد البدوي رئيس الصيدلية عندما وصله استدعاء رسمي من الجيش لمدة أسبوعين .. رفضت الدكتورة الدكتورة قلق اعتماد تلك الفترة كإجازة رسمية حتى اضطر الرجل لإحضار خطاب رسمي من وزارة الدفاع جعلها توافق على احتساب الإجازة وهي مجبرة

انتهت الدورة التدريبية يوم الخميس وكذلك كان ذلك اليوم آخر نوبتجية لي وفي يوم السبت وفي تمام الثامنة صباحا كنت أوقع في دفتر الحضور بمركز صحة الأفاعي

كعادتي دوما اتجهت لعيادة الباطنة حتى أجهز كوبا كبيرا من النسكافيه قبل بداية العمل .. بدأت في تحضير الكوب ووضع الماء في الغلاية الكهربائية قبل أن أجد صوتًا من ورائي يقول :

-رامز .. ازيك .. شفت اللي حصل امبارح ؟

التفت سريعًا لأجد مايا وعلى وجهها علامات الانتصار الممتزجة بسعادة غامرة .. ألقيت عليها تحية الصباح وقلت :

-صباح الخير يا مايا .. ازيك .. مش بعادة تيجي بدري كده .. حصل حاجة ولا إيه ؟

جلست وهي مبتسمة الثغر وقالت :

-أنا جاية بدري مخصوص عشان أحكيلك اللي حصل امبارح .. ما قدرتش استناك لما تيجي النباطشية عشان رحت وزارة صحتين وعافية ورقم تليفونك مش معايا .. فقلت أجيلك السبت بدري قبل الشغل وأحكيلك

ناولتها كوبًا من النسكافيه وأمسكت بكوبي وأنا أجلس بمقابلتها وأقول :

-خير.. إيه اللي حصل ؟

أجابتني :

-دكتور إسحاق كرر نفس اللي عمله من أسبوع معايا تاني

تراجعت في مقعدي مندهشًا من ما سمعته من مايا قبل أن تكمل حديثها قائلة :

-يوم الخميس برضه كانوا قاعدين يتكلموا .. كان قاعد ولامم حواليه الحاشية بتاعته أغاني جمال الدين وسمر المتعقد وعمرو دياب والناس دي وبيشرحلهم حاجات في الدين وكالمعتاد كان بيتريق على سياسة البلد .. المهم لقيته بيقول في نص كلامه اللي أنا أصلًا ما كنتش مركزة فيه " يا جماعة قلتلكم اسألوا مايا في أي حاجة بخصوص البنطلونات .. ده تخصصها "

نظرت لها وأنا أقول :

-عملتي إيه المرة دي كمان يا مايا .. فضلتي باصة في الأرض برضه وساكتة واتكسفتي تردي عليه

ابتسمت وهي تقول :

-عيب عليك .. المرة دي بصيتله وقلتله " لا والله يا دكتور أنا تخصص شيميزات وبس .. ممكن البنطلونات والآندرات تكون من تخصص مدام حضرتك مش تخصصي أنا ويا ريت حضرتك بعد كده لما تكون بتتكلم مع الجماعة بتاعتك ما تدخلنيش في الحوار من قريب أو من بعيد عشان أنا مش مركزة معاكم أصلًا ولا يهمني أنتوا بتتكلموا في إيه "

صعقت كثيرًا من رد مايا على الرجل .. الفتاة التي بكت من تحرش مديرها بها لفظيًا في الأسبوع الماضي ولم تشأ أن ترد عليه وتثأر لكرامتها احترامًا منها لعمر الرجل وشيب شعر رأسه ها هي ذا ترد عليه الكلمة بأفظع منها وتناطحه الحديث .. أسبوع واحد فقط في مركز صحة الأفاعي أحدث تغييرًا جذريًا في أسلوب الفتاة وجعلها تتحول من قطة سيامي أليفة المعشر إلى نمرة أسيوية متوحشة

صمت قليلًا حتى أتمكن من الاستيعاب قبل أن أجدها تضحك بشدة وتقول :

-أيوه هو ده اللي حصله بالضبط .. وشه احمرّ أوي زيك كده وبقى زي الطماطم وفضل ييجي دقيقتين مش عارف يتكلم .. ولما جه يتكلم قمت وقلتله إني هأعمل إذن عشان رايحة الوزارة ورحت على طول مكلمة بابي وقلتله على اللي حصل فقابلني في الوزارة وقابلنا الوزيرة وحكيتلها اللي حصل .. راحت جايبة الدكتورة ديدان الشافعي المسئولة عن الأسنان وحكيتلها اللي حصل وبهدلتها .. راحت ديدان متصلة بإسحاق ومسحت بكرامته وكرامة اللي خلفوه الأرض في التليفون وأجبرته إنه يكلمني يعتذرلي بالليل ويعتذرلي قدام زمايلي النهاردة في الشغل وإلا هيكون ليها تصرف ثاني معاه .. وهددته كمان

إنهم في الوزارة ساكتين على إنه عضو في الجماعة إياها ما دام ما فيش مشاكل بتجيلهم من عنده لكن لو وصلته شكوى ثانية بسبب حاجة عملها مش هيفضلوا ساكتين وهيبقى ليهم إجراءات أخرى

نظرت لها مبتسمًا ومتعجبًا من تغيرها السريع .. مايا التي خجلت من الرد على إهانة إسحاق الماضية أخذت حقها ليس مرة واحدة بل مرتين .. مرة أمام الجميع في العيادة ومرة أخرى في وزارة صحتين وعافية

لاحظت مايا صمتي فقالت :

-على فكرة يا رامز .. والله العظيم أنا لحد دلوقتي ما اعرفش أنا عملت كده ازاي .. كل اللي كان في دماغي وبالي ساعتها جملتك اللي قلتهالنا المرة اللي فاتت إن الناس هنا ضرب الشبشب عندهم كيف ومزاج

ابتسمت من حديثها وقلت :

-بصي يا مايا .. أنا ما اتفاجأتش من اللي عملتيه .. أنا اتفاجأت من التغير السريع اللي حصلك .. وكمان من قلة أدب الراجل ده إنه يكرر نفس الكلمة مرة ثانية .. بس بجد برافو عليكي إنك اشتكيتيه في الوزارة .. خليهم يتربوا بقى

ضحكت من حديثي قبل أن تقطع ضحكتها على دخول الدكتورة زينات الخرايرجي مديرة إدارة الأساس والمتانة الغرفة .. وجدناها تدخل علينا وتلقي تحية الصباح وهي مبتسمة تلك الابتسامة التي تعطيها اللبؤة لفريستها قبل أن تجهز بأنيابها في أحشائها وهي تقول :

-صباح الخير يا دكاترة .. ربنا يديم عليكم الضحك والانبساط .. معلهش لو هأقاطعكم أصلي جاية بدري عشان عاوزة الدكتور رامز في موضوع مهم أوي قبل الشغل وأنا عارفة إنه أول واحد بيجي المركز

نهضت مايا من جلستها واستأذنت للرحيل إلى عيادتها وهي تقول لي:

-أوك يا رامز هأسيبك تشوف شغلك واعدي عليك بعد الشغل ما يخلص عشان أحكيلك التطورات الجديدة

نهضت وأنا أقول لها :

-أوك يا مايا .. هأستناكي

كنت غاضبًا بعض الشيء من أسلوب زينات الخرايرجي في الحديث والتي أحرجت به الفتاة .. كان من الممكن أن تقول أنها تريدني بعد قليل في أمر هام .. أو أن أصعد إلى مكتبها قبل بدء العمل .. ولكن ليس بتلك الطريقة عديمة الذوق والكياسة والتي من المؤكد أنها سببت إحراج للفتاة .. ولكن تلك كانت دومًا طريقتها في التعامل حسب العاملين بالمركز

التفت لها وأنا أقول :

-خير يا دكتورة زينات .. أؤمري

جلست أمامي وهي ما تزال راسمة تلك الابتسامة التي أكرهها على وجهها حتى أنني تخيلت أنها صارت ثابتة مثل شخصية الجوكر في عالم دي سي .. نظرت سريعًا في العيادة وكأنها تتأكد من عدم وجود أخطاء تتصيدها قبل أن تعود لي وتقول :

-أخبار الشغل إيه يا دكتور رامز

أجبتها في حذر:

-تمام

نظرت إلي نظرة فاحصة جعلتني أقول :

-خير يا دكتورة .. البالطو أو الآي دي فيهم حاجة

هزت رأسها سريعًا في نفي وهي تقول :

-لا لا خالص يا دكتور .. ده حضرتك الالتزام كله وكلنا كمديري إدارات بنقول إنه مستحيل الواحدة فينا تمسك على دكتور رامز غلطة

ابتسمت لها وأنا أقول :

-ومش هيحصل إن شاء الله يا دكتورة .. المهم .. حضرتك كنتي بتقولي إنك عاوزاني في حاجة مهمة

أومأت برأسها وهي تقول :

-أه بالضبط يا دكتور رامز .. طبعا حضرتك عارف إن دكتورة تقى ماسكة إدارة المركز وماسكة كمان منصب مفتش الصحة .. بصراحة أنا شفت إن ده عامل ضغط كبير عليها فقررت كمدير لإدارة الأساس والمتانة إن دكتورة تقى تكتفي بإدارة المركز وإننا نشوف دكتور من المركز يمسك مكتب الصحة

ابتسمت ابتسامتها القميئة مرة أخرى وهي تكمل :

-وأنا بصراحة ما لقيتش حد أحسن منك للمنصب ده يا دكتور

لكم أفادتني تمارين اليوجا والتي أقنعتني بها صديقتي العزيزة آية في التحكم بملامح وجهي .. ظلت ملامح وجهي جامدة وثابتة وأنا استمع لذلك الخازوق والذي تجهزه لي زينات الخرايرجي وتقدمه على طبق من ذهب وكأنها تكافئني على اجتهادي في عملي .. أعلم جيدًا أن دكتورة تقى لم تعترض على تولي مسئولية مكتب الصحة بجانب إدارة المركز فهي الوحيدة القادرة على التعامل مع منعم الأرندلي كاتب الصحة والذي يعرف عنه القاصي قبل الداني أنه يقوم لك بأي أمر تريده من مكتب الصحة ما دمت ستبرز له ورقة أو اثنتين من اللون الأحمر

كسرت الصمت الواقع بيني وأنا أقول :

-والله يا دكتورة زينات دي ثقة كبيرة جدًا .. بس أنا مش قدها

ابتسمت وهي تقول :

-ما تقولش كده يا دكتور .. انت قدها وقدود كمان .. اللي خلاك شايل العيادة الصبح في الأيام اللي بتجيها وشايل النباطشيات دي كلها .. مش هتعرف تدور مكتب صحة صغير .. ده غير إن أستاذ منعم الأرندلي هيساعدك وهيكون في ظهرك

اعتدلت في جلستي وأنا أقول :

-آدي حضرتك قولتيها يا دكتور .. أنا شايل هنا أكتر من نص النباطشيات وشايل كمان شغل الصبح .. يعني لو سبت المركز ونزلت مكتب الصحة الشغل هنا هيقع .. ده غير يا دكتورة إني ما بحبش الشغل الإداري .. أنا بحب الشغل العملي أكتر.. وعلى حسب معلوماتي الصغيرة دكتورة تقى ما اشتكتش من الضغط الكبير اللي عليها اللي حضرتك بتقولي عليه ده .. ده غير إني مش هأستريح في التعامل مع أستاذ منعم في مكتب الصحة .. بصراحة كده وعلى بلاطة الراجل سمعته سبقاه ومعروف إنه بيلعب في ورق مكتب الصحة ما دام الورق الأحمر بيطلع وأنا ما ليش في السكة الشمال دي وهأقطعله اللقمة اللي بيطلعها من شغلانته .. خليني في العيادة أحسن يا دكتورة عشان ما يحصلش مشاكل من أي نوع وما حدش يزعل مني

بدأت الابتسامة في التلاشي رويدًا رويدًا من على وجه زينات الخرايرجي .. صمتت لثانية قبل أن تقول :

-بص يا دكتور .. أنا كمديرة إدارة إدارة الأساس والمتانة من حقي أنظم الشغل زي ما أنا عايزة .. وأنا بقول إن حضرتك هتنزل تمسك

مكتب الصحة تحت وده أمر من مديرتك المباشرة وما لكش حق الرفض أو الاعتراض وإلا هأحولك للتحقيق وأديك جزاء بالأمر المباشر

زادني توترها ثباتًا .. ظللت صامتًا لبعض الوقت قبل أن أقول :

-اعملي اللي حضرتك عاوزاه يا دكتورة .. حوليني للتحقيق أو اديني جزاء بالأمر المباشر .. اللائحة وقانون العمل بتقول إن ما فيش حد يجبر حد على شغل في البلد .. ده غير إني جاي لحضرتك هنا كطبيب بشري في العيادات مش طبيب إداري على مكتب .. مش هأورط نفسي في شغلانة مش فاهمها وعهدة ختم ممكن حد يوديني في داهية بسببه .. واللي يتمنولي الداهية هنا كثير .. وكثير أوي كمان

ساد الصمت لثوانٍ بعد كلماتي قبل أن أتذكر شيئًا فأقول :

-وبعدين ازاي يا دكتورة حضرتك هتحوليني للتحقيق وتديني بعده جزاء بالأمر المباشر .. لو حولتيني تحقيق بيبقى جزاء عادي فيه تظلم واستئناف .. ولو ادتيني جزاء بالأمر المباشر ما بيكونش فيه لا تحقيق ولا تظلم

وقفت مبتسمًا وأنا أشير بيدي مكملًا :

-دي بديهيات قانون العمل يا دكتورة

نهضت من مقعدها وقد اكتسى وجهها باللون الأحمر حتى صار مثل فانلة أحد الأندية العربية وهي تقول في حدّة وغضب :

-انت فاكر نفسك مين عشان تتعامل معانا بالطريقة دي .. انت حتة دكتور لسه مستلم الشغل جديد نقدر بسهولة ننقله لأي منطقة في البلد بجرة قلم .. مغرور وتنك ومأنزح وطايح في الكل وما فيش حد مالي عينك .. فوق يا دكتور .. انت بتكلم دكتورة زينات الخرايرجي مديرة إدارة الأساس والمتانة .. والله ما انت مكمل في المنطقة النهاردة

وهأنقلك لمنطقة الجرابيع ولا منطقة الخنازير الطبية ومن بكرة هتلاقي نفسك مرمي في مكان مجهول من المجاهيل اللي في البلد واللي هتخليك ترجع تبوس ايدي عشان أرجعك ثاني هنا في مقابل إنك تعمل اللي أنا عيزاه

أطلقت تهديدها وخرجت سريعًا من عيادة الباطنة .. أغمضت عيني وأنا أحاول تنظيم أنفاسي والتحكم في أعصابي حتى لا أقوم بالفتك بتلك المرأة .. تسارعت الأفكار في رأسي حول كيفية التصرف السريع في الأمر .. لو هاتفت أبي أو أحد أقربائي سيكون تصرفهم معها شنيعًا .. كما أنني لا أحب أن أشغل بال أفراد عائلتي بمشاكلي في العمل فأنا قادر تمام القدرة على مواجهتها والتعامل معها .. أخذت أفكر قليلًا قبل أن التقط هاتفي وأحدث دكتور باهر العميد

لم يطل رنين الهاتف قبل أجد دكتور باهر على الخط الآخر ويقول :

-إيه الصباح الحلو ده .. صباح الخير يا دكتور رامز

أجبته :

-صباح الخير يا دكتور .. آسف جدا على إزعاج معاليك الصبح كده .. بس أنا عارف إن حضرتك أول واحد بيكون موجود في الوزارة

ضحك الرجل وهو يقول :

-آه والله يا رامز يا حبيبي .. كأن مفتاحها معايا .. بس ما تقولش كده .. انت تكلمني في أي وقت من غير كسوف .. بابا عامل إيه وانت أخبارك إيه في الشغل

أجبته :

-بابا الحمد لله ودايما بيسألني على حضرتك كتير .. أما الشغل يا دكتور فوالله ده السبب اللي مخليني بكلم حضرتك بدري كده

سألني في سرعة :

-في حد مضايقك عندك ولا إيه

أجبته سريعًا :

-لأ ده كذا حد يا دكتور والله .. بس أنا بتعامل مع المشاكل كويس .. بس لسه من شوية حاصلة معايا مشكلة مع مديرة الأساس والمتانة مش عارف اتعامل معاها ازاي عشان كده كلمت حضرتك قبل ما اعمل حاجة وكمان عشان أحكي لحضرتك الموقف وتقول مين اللي غلطان فينا أنا ولا هي

وجدته يهتف :

-الخرايرجي تاني .. عملت إيه المَرة دي معاك يا رامز

أخبرته كل ما حدث بيني وبين دكتورة زينات منذ لحظات وكيف توعدتني بالنقل التعسفي إلى منطقة الجرابيع أو الخنازير الطبية .. أنهيت كل حديثي لأجد الرجل يصمت لثوان ليست بالقليلة قبل أن يقول :

-بص يا دكتور رامز .. ما يهمكش حاجة .. أنا اللي عاملك قرار استلامك إنك طبيب عيادات مش طبيب إداري .. أنا هأكلمها دلوقتي وهأخليها تنزلك وتقولك إن الموضوع ده منتهي .. وبعدين ما دكتورة تقى شايلة الليلة كلها وما اشتكتش .. ولا عشان ناجحة في شغلها فلازم أوقعه ليها .. هي زينات طول عمرها بتكره تقى وغلطة عمر الدكتورة الدكتورة إنها خليتها تمسك إدارة الأساس والمتانة بدل إدارة البي بي اللي كانت ماسكاها وكنا مرتاحين من مشاكلها .. بص يا حبيبي اوعى تشغل بالك خالص بالحكاية دي وركز في شغلك وبس .. وأي حد يضايقك كلمني على طول وقولي وأنا هأتصرف معاه

صمت لثانية قبل أن يكمل :

-ومش لازم نشغل دماغ بابا بالحاجات الهايفة دي .. الموضوع هيتحل والدكتورة الخرايرجي هتنزل وتقولك كده دلوقتي .. على فكرة .. قابلت الدكتورة الدكتورة قلق ولا لسه ؟

ضحكت وأنا أقول :

-والله يا دكتور كل ما أجي أدخل عشان أسلم عليها ألاقيها بتصلي

ضحك الرجل على حديثي وهو يعقب :

-هي دايما كده على فكرة .. الظاهر إنها بتخلص من اللي عليها يا حبيبي والله .. على العموم ما تقلقش ولما زينات الخرايرجي تنزلك ابقى كلمني وطمني

أنهيت المكالمة مع الرجل وجلست على مكتبي وأنا أفكر .. أمسكت بكوب النسكافيه فوجدته أصبح باردًا .. قمت بكبّه في الحوض الخاص بالعيادة وشرعت في إعداد واحد آخر قبل أن أسمع صوت من خلفي يقول :

-خليهم اتنين بقى ما دام لسه هتعمل

التفت خلفي لأجد ديانا تدخل العيادة وتكمل :

-صباح الخير الأول

غمغمت قائلًا :

-مش باينله خير والله يا ديانا

سألتني في قلق :

-ليه بس يا بني .. في إيه

أجبتها وأنا أضع الماء من جديد في الغلاية الكهربائية :

-قفشت مع زينات الخرايرجي على الصبح

سألتني في استنكار:

-على الصبح امتى .. الساعة لسه ما جتش تسعة والشغل ما ابتداش

ابتسمت ساخرًا وأنا أقول :

-شكلها كانت مستنياني يا ديانا والله

سألتني وهي ترتدي البالطو الخاص بها :

-طب على إيه المشكلة .. ما انت بتتجنب كل المديرين المساعدين دلوقتي

جلست واستعددت لحكي ما حدث بيني وبين زينات مرة أخرى ولكن لديانا هذه المرة قبل أن أفاجئ بزينات تدخل علينا العيادة مرة أخرى .. كان وجهها منتفخًا ومازالت آثار الاحمرار بادية عليه وإن زادت عن المرة الأخيرة .. كما أن عيناها كانتا متورمتين ربما من أثر بكاء سابق أو نتيجة لمحاولة منها لعدم البكاء .. وجدتها تقول لي من دون أن تنظر في وجهي بصوت أقرب للفحيح :

-خلاص يا دكتور رامز .. انسى كل اللي قولناه من شوية .. اعتبره ما حصلش وإنها كانت ساعة شيطان وعدت

قالت تلك الجملة وانطلقت بسرعة الفهد في طريقها إلى الخروج من العيادة .. ابتسمت لتصرف دكتور باهر السريع قبل أن أجد ديانا تهب من مقعدها وهي تقول :

-لاااااا .. احكيلي اللي حصل كله .. والأهم إنك تحكيلي انت عملت إيه عشان زينات الخرايرجي تبقى كده .. دي ست قوية ومفترية ومش بالساهل إنها تيجي وتعتذر لحد وتقوله انسى اللي حصل وساعة شيطان وكل اللي عملته ده من شوية وخصوصًا قدامي

ابتسمت بأريحية وأنا أقول لها :

-هأحكيلك

***

الأفعى الملكية

لا تقلق منها فهي لطيفة وهادئة وخجولة أيضًا

قلت لك لا تقلق فهي غير سامة بل لها دور هام في المناطق الزراعية حيث تتغذى على الفئران وغيرها من الحيوانات الضارة للمحاصيل

أزمة زواج

أنهيت عملي في عيادة الباطنة اليوم في موعدي المعتاد .. قمت بتجهيز كوب من النسكافيه وجلست لأشربه وأنا أنعم ببعض الهدوء بعد يوم عمل شاق وأحاول نفض غبار العمل عن ذهني وتصفيته من جديد

ثلاثة أشهر مرت منذ الصدام الكبير مع دكتورة زينات الخرايرجي مديرة الأساس والمتانة بمنطقة الأفاعي الطبية .. كانت قد توعدتني بالنقل من المنطقة إلى منطقة نائية وذكرت صراحة منطقة الجرابيع الطبية بعد رفضي لعرضها بتولي الإشراف على مكتب الصحة التابع للمنطقة قبل أن أقوم بإدخال دكتور باهر العميد في الأزمة ويقوم الرجل بحلها على أكمل وجه بل وجعل زينات تعتذر لي عن من فعلته معي

في تلك الفترة لم أحتك كثيرًا بزينات .. قابلتها بالطبع أكثر من مرة ولكنها لم تثر الموضوع مرة أخرى .. فقط كانت ترسم تلك الابتسامة التي أكرهها بشدة على وجهها وتلقي التحية .. كنت أردها عليها أحيانًا ولكني وفي الحقيقة كنت أتجاهلها معظم الوقت .. اعتادت زينات أن تطلب أي أوراق أو إحصائيات خاصة بالعمل من ديانا أو سيلفيا .. كانت تعاملني كما أخبرتها من قبل كطبيب يحضر في موعد عمله ويرحل في موعد انصرافه وكان لدخول باهر العميد في المشكلة واتخاذه صفي فيها وما فعله معها والذي لا أعرفه له الأثر الأكبر في تلك المعاملة

استمريت في أخذ الكثير من النوبتجيات في تلك الفترة .. كنت أريح ذهني من الصراعات الدائرة بالمركز وإن كنت أعلم فحيح الأفعى فيه .. كان جميع العاملين يتسابقون لحكي وسرد ما يحدث يوميًا في مختلف

العيادات والإدارات لي في فترة النوبتجية .. ولكن كان أبرز الأخبار خلال تلك الفترة هو الخبر الخاص بالدكتورة الدكتورة

كانت الدكتورة الدكتورة قلق مدير عام المنطقة قد اقتربت من سن التقاعد الإجباري لموظفي الحكومة .. علمت أنها سعت كثيرًا في وزارة صحتين وعافية وقامت بتوسيط الكثيرين من أصدقائها السابقين في العمل السياسي - حيث كانت عضوة في أمانة المرأة للحزب القديم المنحل - حتى يقوموا بالمد لها ولو لعام آخر بعد سن المعاش غير أن اتجاه الدولة كان في طريق إزاحة الوجوه القديمة عن الساحة وخصوصًا من سبق لهم العمل في السياسة في الفترة السابقة، كان ذلك الاتجاه له الدور الأبرز في رفض طلبها .. وفي النهاية استسلمت الدكتورة الدكتورة قلق للأمر وإن كانت بدأت في تجهيز الوريث الذي سوق يأخذ منصبها والذي تستطيع من ورائه التحكم في كل شيء وكأنها ما زالت متواجدة في المنطقة

كنا نعتقد كأطباء أن دكتورة زينات الخرايرجي هي المرشح الأقوى لتولي منصب مدير عام المنطقة خلفًا للدكتورة الدكتورة .. الانبطاح المذل الذي مارسته المرأة لأعوام جعلها جديرة لشغل ذلك المنصب إلا أننا تفاجأنا بتولي الدكتورة إسعاد الأفندي مديرة إدارة الحقنة السليمة المنصب .. تلك المرأة الناعمة والتي لا تسمع منها غير الإشادة والتقدير في وجهك بينما الخازوق الخاص بك يُطلى رويدًا رويدًا بالزيت حتى يكون جاهزًا لاستقبالك والولوج بداخلك دون ألم يذكر غير في نهايته عندما يقطع أحشائك

في يوم خروج الدكتورة الدكتورة على المعاش أقام مديرو الإدارات لها حفلًا ضخمًا في المنطقة وحفلًا أضخم في باخرة خاصة .. سمعت أن زينات وإلحاد قامتا بالرقص والغناء في ذلك اليوم بينما قامت

إسعاد المديرة الجديدة بتقديم هدية ذهبية فاخرة للدكتورة الدكتورة وقبلت يدها أمام الجميع مؤكدة أنها ابنتها البارة والتي لن تحيد عن الطريق المرسوم من قبل الدكتورة الدكتورة للمنطقة حتى تكون منطقة الأفاعي الطبية أكبر منطقة طبية في البلاد كافة وأكثرهم كفؤًا من وجهة نظرها

لم نهتم كثيرًا بذلك الأمر فقد استمر العمل كما هو .. نقوم بالتوقيع صباحًا في دفتر الحضور ثم نبدأ العمل حتى يحين موعد الانصراف في الثانية ظهرًا فنذهب إلى دفتر الانصراف حتى نوقع فيه ثم نرحل .. فقط ازداد معدل الشجار مع المرضى بصورة كبيرة .. بل كبيرة جدًا في الواقع

أصبحت دكتورة زينات الخرايرجي نائبة لمديرة عام المنطقة برفقة دكتورة عزيزة الفرحان مديرة إدارة ابعدي يا عدوى بعيد .. فوجئت لعدم تولي الدكتورة نهير فوزي مدير إدارة خد البزة واسكت لذلك المنصب ولكني أرجعت ذلك السبب لقرب بلوغها هي الأخرى لسن التقاعد الإجباري بعد بضعة أشهر قليلة .. وربما كان انتماؤها السياسي لتلك الجماعة الإرهابية دور في عدم توليها ذلك المنصب

تغير الحال قليلًا في عيادة الأسنان في الاتجاه الأفضل .. لم يستمر دكتور إسحاق عبد ربه مديرة إدارة الأسنان وبلاويها في مضايقة الطبيبات غير المحجبات .. من المؤكد أن ما فعلته مايا بشكوتها إياه في الوزارة قد ألجمه كثيرًا وحدّ من أفعاله .. الواضح للعيان أن الأمور قد أصبحت أهدأ في عيادة الأسنان باستثناء بعض المناوشات مع أغاني جمال الدين وسمر المتعقد من جهة ومع المرضى من جهة أخرى.

بالنسبة لي فقد توطدت علاقتي بدكتورة تقى مديرة المركز كثيرًا .. تعرفت على زوجها دكتور أحمد رامي طبيب الطوارئ الشهير في البلاد

وصرنا أصدقاء .. استمرت علاقة الصداقة الممتازة مع ديانا وأحمد .. اعتدنا على أن نتقابل يوميًا في العيادة بعد انتهاء فترة العمل المجانية ونمكث معًا حتى يحين موعد الانصراف ونحن نتحدث في كل شيء وعن كل شيء

-صباح الفل يا غالي

أخرجتني مدام خوخة الممرضة المسئولة عن عيادة الباطنة من ذكريات الفترة الماضية .. كانت قد دخلت الغرفة ممسكة بكوب فارغ فرجحت أنها تريد بعض الماء الساخن من الغلاية الكهربائية الخاصة بنا .. التفت إليها وأنا أقول :

-صباح النور يا مدام خوخة

أمسكت الغلاية وبدأت في صبّ الماء وهي تقول :

-قاعد لوحدك يعني يا دكتور

أجبتها :

-ما انتي عارفة يا مدام خوخة .. ديانا في دورة تدريبية في الوزارة وأحمد عنده استلام طلبية في الصيدلية وما ليش مزاج أقعد عند دكتورة تقى في المكتب

لم أعد أذهب كثيرًا إلى دكتورة تقى في مكتبها .. صرت كثير الانزعاج من التواجد مع دكتورة عفت نائبة دكتورة تقى في مكان واحد .. المرأة كثيرة الشكوى من جحود الجيل الجديد وعدم توقيرهم للجيل القديم .. وكيف أنهم لا يريدون العمل ويريدون فقط الحصول على مرتباتهم دون جهد علمًا بأن الجميع يتقاضى راتبه من الدولة .. تكثر المرأة دومًا من الحديث عن مدى تفانيها قديمًا في العمل للدرجة التي جعلتني

أتمنى وجود آلة السفر عبر الزمن حتى أرجع بالزمن إلى الوراء وأشاهدها وهي تتفانى في عملها .. لا أحب كثيري الشكوى على الإطلاق

وجدت خوخة تمسك بكوب الشاي الخاص بها وتقول :

-آه والله يا دكتور رامز .. دكتورة ديانا زي الفل

غمزت بعينها اليسرى بعد تلك الجملة إلا أنني تجاهلت الأمر لأجدها تكمل وتسألني :

-هو حضرتك مش متجوز يا دكتور رامز ؟

أجبتها بلهجة من يريد إنهاء الحديث :

-لا والله يا مدام خوخة لسه ما حصلش نصيب

لم تفهم نبرتي فأردفت :

-طب يا دكتور رامز ما دكتورة ديانا قدامك

لم أفهم المقصد من حديثها عن ديانا وسألتها في عدم فهم :

- أفندم يا مدام خوخة ؟ مالها ديانا بجوازي مش فاهم ؟

ضحكت خوخة وهي تغمز بعينها وتقول :

-مالها يعني ايه يا دكتور رامز .. ده هي الأساس اللي بأكلمك عنها .. ما نخلي زيتنا في دقيقنا ونوفق رأسين في الحلال .. ولو على فرق الدين يعني فما بقاش مشكلة ما الناس دلوقتي بتتجوز وكل واحد على دينه أو واحد منكم يغير وتفرحونا بقى

صعقت من حديث المرأة وتجاوزها كل الحدود معي .. كنت ومنذ استلام عملي بالمكان وأنا لا أسمح لأحد بالحديث عن حياتي الشخصية .. لا أحد يعلم عني شيء وأنا لا أهتم بمعرفة أي شيء عن حياة أي شخص .. حتى أنه لا أحد يعلم حتى هوية الفريق الذي أشجعه ..

فكيف لهذه المرأة أن تسمح لنفسها بالتدخل بهذا الشكل السافر في حياتي .. يبدو أنني سأستمر في مقابلة العديد من النماذج والتي اعتقدت أنها انقرضت منذ زمن في تلك المنطقة الطبية

وقفت أمامها وأنا أقول بحدّة وأحاول كتمان غيظي بداخلي :

-بصي يا مدام خوخة .. حياتي الشخصية خط أحمر للجميع .. مش من حق حد إنه يتدخل فيها بأي شكل من الأشكال .. أنا ما بأهتمش أعرف أي حاجة عن أي حد ومش عاوز أعرف وأتوقع إن المعاملة تكون مماثلة .. الكلام اللي حضرتك قولتيه ده أن هأنساه ومش هأحاسبك عليه ومش هأقول لديانا عليه عشان ما تتصرفش معاكي بطريقة تانية أنا متأكد إنك مش هتحبيها بس بشرط إنك مش هتفتحيه ثاني ولا تجيبي سيرته خالص بعد كده .. اتفقنا ؟

وجدتها تقف ساكنة وكأن جبل من الثلج قد سقط على رأسها للتو .. لم انتظر ردها وتركتها بمفردها في العيادة

سرت في طرقة انتظار المرض بجانب العيادات في طريقي للخروج من المركز لشراء أي شيء .. وجدت مايا عائدة إلى عيادة الأسنان من الأسفل وبيدها كيس صغير يحوي بعض الحلويات والمشروبات .. ما إن رأتني حتى حيتني بمرح قائلة :

-رامز .. إزيك .. إيه الأخبار

أجبتها في شرود :

-الحمد لله .. تمام

سألتني في جدية :

-مالك يا رامز .. في إيه ؟

زفرت بعض الهواء الساخن المحتبس في صدري من الغيظ وأنا أقول :

-ما فيش يا مايا بس اللي اسمها خوخة دي فورت دمي شوية

وجدتها تدعوني للدخول لعيادة الأسنان وهي تقول :

-تعالى نتكلم جوه طيب مش هنفضل واقفين في الطرقة .. ما تقلقش ما فيش حد جوه غير نورين .. الباقي زوغ يا إما في الكافيه اللي جنبنا يا إما بيصلوا بقالهم أكتر من ساعة

دخلنا العيادة فوجدت نورين تتحدث في الهاتف وهي تكتب في نفس الوقت ما يمليه عليها من تحادثه .. أومأت لها برأسي فبادلتني التحية وجلست أنا ومايا بالقرب منها

حكيت لمايا ما حدث منذ لحظات مع خوخة .. لم أتوقع أن تكون ردة فعلها هكذا .. فقد انطلقت بالضحك ولم تتوقف إلا عندما سألتها وأنا مغتاظ :

-في إيه يا مايا .. هو أنا قولتلك نكتة عشان تسخسخي على نفسك من الضحك كده

أجابتني من بين ضحكاتها :

-أصلك مكبر الموضوع أوي يا رامز .. بص كل واحد أو واحدة مش متجوز هنا مسألة جوازه بتبقى مسألة أمن قومي .. كل الشغالين هنا هيحاولوا يجوزوه ويشتغلوله خاطبة .. طب انت وقالولك على ديانا لكن أنا كانوا عاوزين يجوزوني عصام بلاوي

سألتها في استنكار:

-الصيدلي بتاع أدوية الجدول

ضحكت وهي تقول :

-آه .. تصدق .. وبعديه عرضوا عليا عمرو دياب وفريد الطويل .. حتى بتوع تفتيش الدرك .. حسام المدمن وسط دكتورة نهير فوزي عشان تفاتحني إنه عاوز يتقدملي لحد ما اشتكيتهم لدكتورة تقى وبأمانة وقفتهم عند حدودهم

ابتسمت بسخرية وأنا أقول :

-يعني أنا المفروض أشكرهم عشان اختاروني ديانا

أكملت ضحكاتها وهي تقول :

-احمد ربنا إن أغاني اتجوزت .. وعهد الله ما كانت هتسيبك

تراجعت في مقعدي وأنا أقول :

-الحمد والشكر ليك يا رب .. لأ دي محتاجة ركعتين شكر وممكن ادبح كمان

ضحكت مرة أخرى وقالت :

-طنش يا رامز طول ما أنت في المركز هنا هتسمع من ده كتير .. ده أنا بتزف في المسافة من عربيتي اللي بركنها قدام المركز لحد ما اوصل العيادة .. وانت بالنسبة للناس اللي شغالة هنا سواء دكاترة أو مش دكاترة عريس لقطة .. دكتور ومرتاح وقمور .. يعني اللي مش متجوزة هتشوفلك حد من قرايبها

سألتها وأنا أضحك :

-العقل ده نزل عليكي من امتى يا بنتي

أجابتني ضاحكة هي الأخرى :

-لا يا زعيم .. في الحتة دي تحديدًا تقف وتسمع مني .. طب ده انت اللي ولد واتنرفزت من موقف واحد .. طب أنا ياللي بنت وكانوا بيجبولي كل يوم عريس

أنهينا حديثنا على صوت نورين وهي تسأل :

-ما حدش يعرف أجيب ألون شمع ماركة ستيدلر منين يا جماعة

سألتها :

-اشمعني يعني الماركة دي .. صعب تلاقيها دلوقتي

أجابتني وهي تلوي شفتيها :

-المدرسة عند سيسي طالبينها في السابلايز .. النوع المنيل ده تحديدًا

تعجبت قليلًا قبل أن أقول :

-ليه يعني .. جيبيلهم ألوان أي ماركة وخليهم يقولوا لأ .. ده انتي تفضحيهم فيها

ابتسمت نورين وهي تقول :

-المشكلة مش معايا .. بتوع المدارس دلوقتي بيلعبوا على نفسية الطفل .. ازاي باباك ما جابلكش الشنطة الفلانية .. وازاي مامتك ما تجيبلكش السابلايز العلانية .. طب ما كل زمايلك أهاليهم جابولهم الحاجة من غير كلام أو مناقشة .. ولا أهلك ما بيحبوكش ولا يا ترى ممعاهومش فلوس وكل الكلام الزبالة ده اللي يخلي أي طفل يحس إنه مقهور أو مش محبوب من أهله أو إنهم على قد حالهم ويدخلوا في مرحلة الزن والعياط والتسخيف على الأهل فاحنا بنريح دماغنا من الأول عشان الحوارات دي

قلت في تقزز :

-ده أسلوب حقير إنهم يضغطوا على أولياء الأمور عن طريق ولادهم

قالت في صدق :

-لما يبقى عندك ولاد هتعرف المأساة

صمتت برهة قبل أن تلتفت لي ولمايا وتسألني من جديد وهي تبتسم:

-ألا بصحيح .. هو انت مش متجوز يا رامز؟

نظرت إلى مايا قبل أن ننفجر أنا وهي من الضحك وسط دهشة واستغراب نورين

***

أفعى الرباط

تتميز تلك الأفعى بألوانها الزاهية والتي تجعلها جذابة ومحببة جدا للأعين

يكثر نشاط تلك الأفعى في فترة النهار

خذ حذرك فهي نشيطة للغاية وسترهقك بالتأكيد

حالة وفاة

كعادة منطقة الأفاعي بعد كل مشكلة تحدث معي لابد وأن يعقبها فترة من الهدوء النسبي .. تقتصر المعاملات في تلك الفترة على إلقاء التحية فقط دون التطرق إلى أي مواضيع أخرى مما يضمن عدم توقف سير العمل بالمكان .. وكان هذا بالضبط ما حدث مع مدام خوخة بعد موقف عرض الزواج التي قامت بعرضه علي

تستمر الحياة وتمر الأيام بلا أي تغيير في منطقة الأفاعي الطبية .. اعتقد البعض أن الحال قد يتغير بعد بلوغ الدكتورة الدكتورة قلق سن التقاعد الإجباري وتركها الخدمة جبرًا وقسرًا وتولي دكتورة إسعاد الأفندي إدارة المنطقة .. ولكن لم يحدث أي تغيير يذكر

قامت الدكتورة إسعاد بمجرد جلوسها على مقعد إدارة المنطقة بإحضار مقعد لأم دعدور أمام مكتبها الجديد وجعلتها الديدبان الخاص بها .. لا أحد يدخل مكتب الدكتورة المديرة الجديدة قبل أن تدخل أم دعدور أولًا لتأخذ الإذن له بالدخول .. لا أحد على الإطلاق من أول الأطباء والعاملين مرورًا بالسكرتارية نهاية بمديري الإدارات أنفسهم

كنت قد سمعت قبل تولي الدكتورة إسعاد إدارة المنطقة بشكل رسمي أن المرشح لذلك المنصب هو الدكتور بهجت السخاوي مدير مستشفى الأفاعي المركزية السابق .. كانت سمعة الرجل ممتازة في وزارة صحتين وعافية .. يكفي أنه استلم المستشفى وهي في الحضيض واستطاع بالمجهودات الذاتية أن يجعلها أفضل مستشفى مجانية في البلاد كافة تستوعب يوميًا المئات والمئات من المرضى .. سمعت عنه حكايات وقصص ترقى لمرتبة الأساطير حول تعامله المحترم مع الأطباء والعاملين وكيف أنه يوفر لهم الظروف المناسبة للعمل مع توفير سبل

الراحة والتقدير لجميع من يعمل بالمكان مما كان له الأثر في جعل الأطباء يتفانون في عملهم فقط حتى لا يغضب منهم الرجل

بيني وبين نفسي كنت أتمنى أن يصبح الرجل مديرًا لمنطقة الأفاعي .. وجه جديد من خارج المنطقة لم يتأثر بسياسات الدكتورة الدكتورة قلق والتي استمرت على مقعد المنطقة لفترة قاربت الربع قرن من الزمان مما جعل الفساد الإداري منتشر .. قاعدة معروفة للجميع .. كثرة تواجد الشخص على أي مقعد للسلطة يجعله وكأنه يقتني جروًا صغيرًا اسمه الفساد الإداري فكلما زادت فترة مكوث الشخص على ذلك المقعد يكبر معه الجرو حتى يصير كلبًا عملاقًا في النهاية وقد يلتهم صاحبه وينهي حياته العملية معه

تبا للسرد والاستطراد الذي صرت أعاني منه في الفترة الماضية .. حسنًا لنعد إلى موضوعنا الأساسي مرة أخرى .. كانت كل المؤشرات تشير لتولي دكتور بهجت السخاوي إدارة المنطقة لدينا إلا في حال قيام أي شخص بتقديم فروض الولاء والطاعة النفسية والمادية في وزارة صحتين وعافية وللعاملين فيها ويبدو أن هذا ما حدث فقد ظهرت فجأة الدكتورة إسعاد الأفندي في الصورة وأصبحت هي مديرة منطقة الأفاعي الطبية

تناثر الحديث حول دفع المرأة لما يقترب من الربع مليون نقدًا حتى تتولى ذلك المنصب .. كان مصدر دهشتي هو من أين لتلك المرأة والتي تعمل طبيبة في الحكومة بذلك المبلغ حتى تقدمه ثمنًا لجلوسها على المقعد .. لا أحب أن أتحدث في تلك النقطة ولكن المستوى الاجتماعي والمادي للدكتورة إسعاد معروف لجميع العاملين في منطقة الأفاعي الطبية ولا أعتقد أنها كانت تفعل كشيلوك المرابي اليهودي في مسرحية تاجر البندقية .. المهم أنني لم أجد تفسيرًا واضحًا لما حدث وفي النهاية

فضلت ترك حل هذا اللغز للزمن حتى يقوم بحله وقتما أراد وشاء .. الأمر الهام أن وتيرة الحياة استمرت كما كانت في فترة حكم الدكتورة الدكتورة قلق بلا أي تغيير يذكر .. فقط نفوذ متزايد لزينات الخرايرجي ومحاولاتها المستمرة في مضايقة دكتورة تقى مديرة المركز

استمريت في الكشف على المرضى في عيادة الباطنة .. وفي بعض الأيام القليلة والتي لا يكون فيها عدد كاف من الأطباء كنت أقوم بالكشف على الأطفال حديثي الولادة وأبليت بلاءً حسنًا في هذا الأمر جعل تقى تفكر أن تجعلني مختصًا بالكشف على الأطفال فقط

كانت الأيام تسير على وتيرة واحدة مما جعلها تبعث الملل في النفوس وتصيب كل ما يقع تحت فرائس الروتين بالاكتئاب المزمن .. حاولت أن أجدد من روتين يوم حتى لا أصبح الفريسة الجديدة للاكتئاب .. فيلم جديد في يوم .. كتاب جديد في يوم آخر .. لا مانع من إحضار أذرع اللعب وقضاء بعض الوقت مع أحمد في لعب كرة القدم على الكمبيوتر

كان العمل اليوم بسيطًا بعض الشيء .. بدأت الدراسة في البلاد وترتب على ذلك انخفاض تردد المرضى في معظم الأيام .. كنت أقوم بالكشف المعتاد مع ديانا في العيادة لأجد تقى تدخل علينا العيادة وهي في عجلة من أمرها .. ألقت التحية على جميع المتواجدين بالعيادة قبل أن تمسكني من يدي لتخرجني من العيادة بصحبتها .. لم أعترض على ما فعلته .. علمت أن هناك أمرًا هامًا تريدني فيه

وصلنا إلى حجرة مكتبها لأجدها تقف أمام الباب المغلق وتقول لي في نعومة تدل على إنها ترغب في طلب شيء ما :

-رامز حبيبي .. ممكن خدمة صغننة

ضحكت وأنا أقول :

-طبعا يا دكتور ومش لازم الصوت الناعم ده .. انتي عارفة يعني

ضحكت وهي تقول :

-لأ ازاي ما لازم الحركتين دول في الأول .. المهم .. بص يا رامز .. طبعا انت عارف إن عندنا النهاردة تفتيش من الوزارة على ملفات المرضى .. ودول ناس مقرفين ومتعبين ولازم أكون على دماغهم عشان ما يتلككولناش على حاجة

سألتها :

-طب إيه المشكلة

أجابتني :

-في حالة وفاة موجودة دلوقتي ولازم حد يطلع مع الناس اللي جوه عشان يشوف الحالة عشان أهل المتوفي يقدروا يستلموا تصريح الدفن ويدفنوا الراجل .. وطبعا أنا مش هأقدر اطلع معاهم عشان التفتيش وكده

صمتت لبرهة وهي تنظر لي قبل أن تكمل قائلة :

-عشان كده عاوزاك تطلع الحالة دي

أجبتها سريعًا :

-ما عنديش مشكلة طبعًا .. قوليلي بس اعمل إيه واكشف ازاي وأنا تحت أمرك

أمسكت كتفي وهي تقول :

-تسلم يا رامز .. أنا عارفة إن ورايا رجالة .. بص الحكاية سهلة جدا هي الحالة دي حالة وفاة منزلية .. يعني هتروح معاهم البيت اللي هنا في آخر الشارع .. هتبص على الحالة وتكشف كشف ظاهري عليها

نبض وحدقة العين وكده .. لو لقيت إن كل الاشارات الحيوية الظاهرة واقفة يبقى الوفاة عادية وطبيعية بس لو شكيت إن مثلًا المريض في غيبوبة سكر أو غيبوبة كبدية فتقول لأهله يروحوا بيه مستشفى كبيرة يقوموا باللازم هناك أما لو شكيت في وجود لبش فتتصرف بالراحة وما تحسسش حد بأي حاجة لحد ما تجيلي هنا

سألتها في عدم فهم :

-يعني إيه لبش ؟

أجابتني :

-لبش يعني في شبهة جنائية في الوفاة .. الوفاة مش طبيعية .. ما انت عارف زي ما درسنا في الطب الشرعي كده .. يعني لو لقيت آثار سم على لسانه أو آثار جروح أو دم على جسمه يبقى ممكن يكون أهله قاتلينه فلازم تفلت من هناك بالراحة ولما ترجع هنا هتقولي فهأروح أنا محولة الحالة للنيابة عشان تحولها للمشرحة ونخلي احنا مسئوليتنا من الموضوع تمامًا

صمت قليلًا وأنا أفكر لأجد تقى تكمل :

-عموما ما تقلقش من الحالة دي لأن المتوفي عنده خمسة وثمانين سنة ومعاهم تقارير طبية إنه مريض سرطان وتحت العلاج يعني انت الحالة دي هتروح تبص بس على الحالة وترجع عشان اديهم أنا تصريح الدفن من هنا وخلاص

حسمت أمري وأنا أقول لها :

-تمام أوكيه .. فين أهل المتوفي

أجابتني :

-في المكتب عندي جوه

دخلت أنا وتقى المكتب .. ألقيت التحية على الرجلين المتواجدين بالمكتب وقدمت لهما واجب العزاء قبل أن انطلق معهما في اتجاه منزل المتوفي

يقول البعض أن للموت رائحة .. لم أكن أصدق تلك المقولة حتى دخلت منزل المتوفي وتحديدًا حين دخلت الغرفة التي تتواجد بها جثة الرجل .. رائحة لا تستطيع أن تميزها أ رائحة طيبة هي أم رائحة مميزة أم حتى رائحة منفرة .. لا تستطيع وصف ما هيتها بالضبط ولكن لنقل فقط هي رائحة مميزة للموت

دخلت غرفة الرجل لأجد جسده مغطى بملاءة بيضاء وجهاز التكييف يعمل بكامل قدرته وصوت القرآن ينطلق من هاتف صغير موضوع على الكومودينو المجاور للفراش .. قمت برفع الملاءة من على وجه الرجل وقمت بإجراء الكشف الطبي الظاهري عليه لأتأكد من وفاته .. كان كل شيء طبيعيًا .. أراد الله أن يسترد أمانته ويرحم المريض وأهله من معاناة ذلك المرض الفتاك

أنهيت كشفي في ثوانٍ معدودة قبل أن أعيد إلقاء واجب العزاء على ذويه وأطلب من أحدهم الحضور معي للمركز حتى يتسلم تصريح الدفن

بمجرد وصولي المركز ذهبت إلى مكتب دكتورة تقى وأخبرتها أن الوفاة طبيعية ولا يوجد أي شبهة جنائية لتقوم تقى على الفور بكتابة تصريح الدفن وتسليمه لأهل المتوفي وهي تطلب منهم أن يقوموا بتصويره أكثر من نسخة لحاجتهم إياه في الأيام القادمة وأن يحضر بعد يومين أحد أبناء المتوفي ليقوم باستلام أصل شهادة الوفاة

جلست مع تقى بعد انصراف أهل المتوفي .. طلبت من تارا إعداد النسكافيه الخاص لي ولها قبل أن تسألني :

-ها .. الدنيا كانت صعبة ولا سهلة

أجبتها :

-لأ سهلة جدا .. ما كانش في مشاكل خالص .. التفتيش مشي ولا لسه

أجابت في سرعة :

-أهم بيفتشوا في الملفات مع مدام كوابيس مسئولة الملفات وقولتلهم لما يخلصوا يقولولي .. المهم انت عارف إن أول حالة وفاة طلعتها في حياتي كنت هتقتل فيها

سألتها في دهشة :

-ازاي ده ؟

أجابتني ضاحكة :

-كنت لسه مستلمة شغل جديد ودكتورة فتحية المستكين مديرة المركز القديمة الله يمسيها بالخير طلبت مني أروح أشوف حالة وفاة .. فطلعتها

صمتت برهة وهي تلتقط كوب نسكافيه من يد تارا وتناولني إياه وتمسك الكوب الآخر لترتشف منه بعض القطرات قبل أن تضع الكوب أمامها وتكمل :

-أول ما وصلت البيت لقيت شفايف الست المتوفية وارمة وزرقاء .. فتحت بقها لقيت لسانها هو كمان أزرق .. يعني بالبلدي كده الست دي كانت متسممة وش .. المهم مسكت نفسي وقلت للست اللي كانت

واقفة معايا إني محتاجة مياه فراحت تجيبهالي .. بعد ما طلعت وقفت كده شوية أفكر هأعمل إيه لحد ما سمعت خناقة بره بين الموجودين واللي باين إنهم كانوا ولادها .. كانوا بيزعقوا سوا على إن الميراث هيتقسم بينهم بالتساوي مش بالشرع .. وسمعت صوت واحدة بتقول " ما أنا مش هأسمّها لوحدي وفي الآخر آخد أقل منكم، الميراث لازم يتوزع بينا بالتساوي " .. فضلت ساكتة وخايفة صوتي يطلع فيسمعوه وما بقتش عارفة اتصرف ازاي وبعدين سمعت واحد منهم بيقول " هي الدكتورة اللي جوه دي اتأخرت ليه .. هي أخدت بالها إن في مشكلة ولا إيه ؟ والله لو ما اديتنا التصريح لكون دافنها جنب أمكم "

سألتها وأنا منصعق من ما تحكيه :

-وعملتي إيه في الليلة السوداء دي

أجابتني :

-ولا حاجة .. ربنا ألهمني إني أقفل الباب عليا بالمفتاح من جوه وروحت ناطة من الشباك

سألتها مستنكرًا :

-أفندم .. شباك إيه اللي نطيتي منه ؟

ضحكت بشدة وكأنها تتذكر الموقف وقالت :

-ما هم كانوا ساكنين في فيلا .. والأوضة اللي كان فيها المتوفية كانت في الدور الأرضي .. فربنا ألهمني إني أفتح الشباك وأنط .. وأول ما بقيت بره الفيلا خدتها جري للمركز وقلت لدكتورة فتحية على كل حاجة راحت الست مبلغة البوليس باللي حصل والحالة اتحولت للنيابة وطلع فعلا إن البنت الكبيرة سممت أمها عشان تورثها هي

واخواتها .. المهم طبعا إني قعدت أسبوع ما بأروحش الشغل عشان خايفة من ولاد الست المتوفية لا يعملوا فيا حاجة

أنهت حديثها ضاحكة فنظرت لها وأنا أتساءل في نفسي عن ما سأفعله في حالة تعرضي لموقف مشابه لذلك الموقف.

يبدو أن منطقة الأفاعي الطبية لن تتوقف عن مفاجآتها لي

***

أفعى الأناكوندا الخضراء

لتنس تمامًا ما رأيته عن أفعى الأناكوندا في مختلف الأفلام التي قدمت من قبل فكلها كانت هراء

أفعى الأناكوندا هي أفعى ثقيلة قد يقارب وزنها الربع طن ويصل طولها إلى الثمانية أمتار

على الرغم من شكلها وحجمها فهي أفعى غير سامة ولكنها قد تقتلك فقط بهيبتها الكاذبة

إضرابات ومشاجرات

" هذا وتؤكد نقابة الأطباء العامة في البلاد أن أي طبيب لن يلتزم بقرار الإضراب العام في جميع المراكز والمستشفيات التابعة للوزارة سيتم تحويله للتحقيق واتخاذ إجراءات بشأنه .. أما أي طبيب في موقع الإدارة سيحاول إجبار زملاءه على العمل ومخالفة قرار النقابة سيتم تحويله لمحاكمة تأديبية عاجلة في النقابة واتخاذ إجراءات عنيفة بشأنه سيكون أهونها هو إيقافه عن مزاولة المهنة في البلاد بأي صورة كانت لفترة لا تقل عن الستة أشهر"

أعدت قراءة البيان أكثر من مرة وأنا أجلس برفقة ديانا في عيادة الباطنة .. كانت سيلفيا قد أحضرت هذا البيان الموقع من نقيب الأطباء بخصوص الإضراب الجديد والذي سيبدأ غدًا في كافة أنحاء البلاد .. كانت سيلفيا وما زالت مندوبة الثورة في منطقة الأفاعي الطبية

كان وضع المنظومة الصحية في البلاد يسير من سيء إلى أسوء .. وزارة صحتين وعافية تحتكر معظم الميزانية لتجديد المباني خاصتها سنويًا وإعطاء مكافآت وحوافز للعاملين بها ويقومون بعد ذلك بإلقاء الفتات وما تبقى منهم لشراء المستلزمات الطبية وحوافز لشباب الأطباء .. وما زاد من الأمر سوءًا هو رفض الحكومة إعطاء بدل تعب وإعياء للأطباء بحجة أننا نقوم بالكشف على مرضى أصحاء بدنيًا ولا تحاول فهم الجملة فشقيقي حسن والذي يعد من أنبه المحامين في البلاد لم يستطع فهمها حتى لحظتنا هذه .. بالطبع كان مشروع كادر الأطباء الذي طالبت به النقابة من قبل لأجل توفير حياة كريمة تتناسب مع ما يلاقيه الأطباء من مخاطر يومية قد توفى ودفن وتم أخذ العزاء فيه ونقوم نحن شباب الأطباء بإحياء ذكرته السنوية في النقابة

قرأت البيان مرة أخرى حتى أفهم كل حرف جاء به .. الذي فهمته أن الإضراب سيكون عامًا وشاملًا في جميع المراكز الصحية والمستشفيات التابعة للوزارة باستثناء حالات الطوارئ والحضّانات فقط .. بمعنى أنه لن يكون هناك كشف مجاني أو اقتصادي أو حتى قطع للتذاكر أو صرف دواء عليها، كذلك ستتوقف جميع العمليات الغير طارئة وتأجيلها حتى نهاية الإضراب ويتوقف العمل بالعيادات المختلفة في المستشفيات .. فقط سيقوم الطبيب أو الطبيبة بالكشف على المريض مجانًا في الحالات الطارئة وصرف العلاج اللازم له من عيادة الطوارئ .. بالطبع كان العلاج الدوري كعلاج السكر والضغط مستثنى من الإضراب

أمسكت ديانا البيان وتأملته قبل أن تقول :

-على فكرة الحكاية دي مش هتخلص على خير

سألتها :

-ليه بتقولي كده

أشارت بيدها وهي تجيبني بطريقة العالم ببواطن الأمور :

-عشان الوزارة مش هتسمح لحد يلوي دراعها هيبلغوا مديري المراكز والمستشفيات إنهم يهددوا الدكاترة بإجراءات عنيفة لو أضربوا عن العمل وهيحطونا في مواجهة مع العيانين بنفس الطريقة المعتادة بتاعتهم .. بصوا الدكاترة الوحشين اللي مش عايزين يكشفوا عليكم عشان عايزين يزودوا مرتباتهم والفلوس اللي بيلهفوها منكم.

قلت لها سريعًا :

-بس ده كدب .. الهدف من الإضراب زيادة حصة وزارة صحتين وعافية من ميزانية الدولة وتعديل أوجه صرفها .. ما ينفعش أجدد

المبلغ كل سنة بكذا مليون وما فيش جهاز سونار مثلًا في مستشفى .. ما ينفعش يكون موظف إداري قاعد على مكتب وما لوش شغلانة ياخد ييجي عشرين ألف في الشهر والدكتور اللي طفحان الكوتة وواقف على رجليه باليومين والثلاثة وراء بعض ما بيروحش بيته ولا بيشوف أهله مرتبه ما يكملش الألفين ثلاثة .. ده حتى بدل التعب والعيا ما رضيوش يزودوه ومخليينه ثابت .. ده ما كملش عشرين زغلول حتى .. يعني اتعامل مع مختلف الميكروبات والأمراض شديدة العدوى ولو لا قدر الله تعبت ولا خدت عدوى ألاقي نفسي واخد بدل تعب وعيا ما يكملوش نص علبة سجاير ميريت صفراء.

صمتت ديانا قليلًا قبل أن تقول :

-ربنا يستر ويعدي الأيام دي من غير وجع دماغ .. أنا كنت هاخد إجازة واريح دماغي لحد ما الليلة دي ما تخلص بس لقيت الدكتورة إسعاد موقفة الإجازات الاعتيادية

قلت لها مبتسمًا :

-ده قرار وزارة .. إسعاد أضعف من إنها تاخد قرار زي ده

وضعت ديانا يدها أسفل ذقنها وهي تسألني في شرود :

-طب تفتكر إيه اللي هيحصل ؟

قبل أن أجيبها وجدت دكتورة زينات الخرايرجي تدخل العيادة .. ألقت علينا التحية في فتور وهي تقول :

-صباح الخير يا دكاترة .. طبعا الشغل عادي النهاردة .. ما فيش لا إضرابات ولا الكلام الفاضي ده .. واللي مش هيشتغل هأعتبره ممتنع عن العمل وهأحوله للتحقيق وأديله خمس أيام جزاء بالأمر المباشر

صمتت لبرهة قبل أن تنظر لي وتكمل :

-وعلى فكرة دي تعليمات جاية من الوزارة .. يعني من عند دكتور باهر العميد نفسه

نظرت لها مبتسمًا وأنا أفهم ما كانت ترمي إليه وأقول :

-ثاني يا دكتور .. أنا مش شرحت قبل كده لحضرتك إن حضرتك ما ينفعش تحولينا للتحقيق وتدينا بعده جزاء بالأمر المباشر .. لو حولتينا تحقيق بيبقى جزاء عادي فيه تظلم واستئناف .. ولو ادتينا جزاء بالأمر المباشر ما بيكونش فيه لا تحقيق ولا تظلم

صمت وأنا أراقب تحول لون وجهها إلى اللون الأحمر من الغيظ فأكملت قائلًا :

-ومش حلو يا دكتور التهديد بالوزارة ده .. بيان النقابة واضح وقانوني ومبلغين بيه وزارة صحتين وعافية ووزارة الدرك .. يعني الحكاية قانونية .. ده غير إن النقابة حاطة أرقام تليفونات عشان لو حد غتت على الدكاترة وأجبرهم على فض الإضراب ييجوا يتعاملوا مع الشخص ده فورًا

التفت إلى ديانا قائلًا :

-بيقولوا يا ديانا هيبقى فيها إيقاف عن ممارسة المهنة لفترة ما تقلش عن ست شهور .. يعني مش هيبقى فيه شغل لا حكومة ولا برايفت ولا حتى منصب مدي.....

قاطعتني الخرايرجي في غضب قائلة :

-يعني حضرتك يا دكتور ممتنع عن الشغل ؟

أجبتها وأنا ابتسم باستفزاز شديد :

-خالص يا دكتور والله .. بس أنا جايلي قرار من النقابة بالإضراب .. والوزارة لا اعترضت ولا طلبت مني أطنش قرار النقابة في بيان رسمي ليها .. فأنا مضرب حتى إشعار آخر

قالت زينات في سرعة :

-هما في الوزارة بلغوني تليفونيًا إن ما فيش إضراب

ابتسمت في سخرية أشد استفزازًا من سابقتها وأنا أقول :

-والله يا دكتور ما دام ما فيش ورقة رسمية ممضية ومختومة جاتلي فأي كلام بقيقي بيتقال هو والعدم سواء بالنسبالي ومكانه صفيحة الزبالة .. حضرتك هاتيلي ورقة رسمية من الوزارة برفض قرار النقابة بالإضراب وإننا كأطباء ملزمين بالشغل وأنا تحت أمرك

خشيت في تلك اللحظة على زينات الخرايرجي من أن تصاب بأزمة قلبية أو أن يهبط عليها الفالج .. كان وجهها قد أصبح أكثر احمرارًا وصارت أنفاسها شديدة وصدرها يعلو ويهبط من فرط التوتر والعصبية إلا أنني لم أكتف وأكملت :

-وبعدين يا دكتور ما احنا شغالين برضه .. بيان النقابة بيقول إننا هنكشف على الحالات الطارئة بس من غير ما نقطعلهم تذاكر

صمتت وهي تفكر كيف لها أن تقوم بإنهاء حياتي من دون أن تتعرض للمساءلة القانونية قبل أن تقول :

-طب والعلاج يا دكتور .. هتصرفوه للناس منين .. أي برشامة هتطلع من الصيدلية هأعمل محضر في الدكتور اللي طلعها واوديه في ستين داهية

صمتت لثانية قبل أن تكمل :

-ومهما كان هو مين أو يعرف مين

ابتسمت وأنا أنهض من مقعدي وأتجه للدولاب الخاص بنا وأخرج تلك الحقيبة الضخمة والتي أحضرتها سيلفيا بالأمس من النقابة وأضعها على المكتب أمام الخرايرجي وأنا أقول :

-يشاء السميع العليم يا دكتورة إن الناس في النقابة تفكر في الحاجة دي ويتفقوا مع شركات الأدوية إنهم يمدونا بعينات مجانية لأدويتهم طول فترة الإضراب

في تلك اللحظة شعرت أن زينات ستسقط مشلولة على أرضية العيادة .. ظل الصمت والسكون يرفرف على أجواء الغرفة لفترة جاوزت الثلاث دقائق قبل أن تخرج زينات من العيادة لتجد المرضى يسألون عن ما سيحدث اليوم وهل سيكون هناك كشف أم لا لتقف وسطهم وتقول :

-الدكاترة مش عاوزين يكشفوا عليكوا عشان عاوزين مرتباتهم تزيد وانتوا تموتوا في ستين داهية دي حاجة مش مهمة بالنسبة ليهم .. اتصرفوا انتو معاهم بقى .. ما دام أهم حاجة عندهم الفلوس وبس

كنت متوقعًا ما ستفعله زينات في تلك اللحظة .. وزارة صحتين وعافية لن تجرؤ على الوقوف رسميًا في وجه النقابة والتي يتولى منصبها صهر حاكمنا الحالي .. كل ما تستطيع أن تفعله في تلك المرحلة هو القيام بتأليب المرضى على الأطباء من خلال بعض البرامج التليفزيونية وبعض المواقع الإلكترونية كما سيقومون بإعطاء الأوامر للمديرين الذين يعملون تحت إمرتها بتأليب المرضى على الأطباء في المراكز والمستشفيات التابعة لهم

اتجهت سريعًا لأقف أمام زينات وسط المرضى وأنا أقول بأعلى صوتي :

-ما تصدقوش يا جماعة أي كلام من أي مَرة معدية .. احنا هنكشف على الكل النهاردة .. ما حدش هيروح من غير ما يتكشف عليه وهياخد كمان علاج من بره جايبينهوله .. يعني أنظف من اللي بتصرفوه من هنا .. الحكاية كلها إنكم هتطلعوا من تحت على العيادة على طول من غير ما تقطعوا تذاكر وتنظموا الدخول على حسب اللي جه الأول

نظرت لها لأجدها تجاهد لعدم السقوط على الأرض من الغيظ وأكملت حديثي قائلًا :

-أما حكاية إننا عاملين الإضراب ده عشان مرتباتنا تزيد فده هجص يا جماعة .. احنا عاوزين نزود ميزانية الوزارة عشان نشتري بيها الأدوات والمستلزمات الطبية الناقصة واللي نقدر نشتغل بيها عشان ما حدش فيكوا ييجي هنا ونقوله روح الفيلا الألمانية ولا مستشفى الأفاعي المركزي واتهدل في الزحمة والوسايط هناك عشان احنا هنا ما عندناش الامكانيات لعلاجك .. دي الحقيقة يا جماعة وما تصدقوش أي كلام .. مش احنا اللي بنصرف في كل حملة تطعيمات للأطفال كذا ألف لينا كمكافآت وحوافز .. والله ما بيحصل .. ده احنا بنحط من جيبنا

صمت ثانية قبل أشير للمروحة الكهربائية المتدلية من السقف وأكمل حديثي قائلًا :

-والله العظيم يا جماعة المروحة دي احنا اللي جايبينها على حسابنا عشان ما حدش منكم يفطس من الحر وهو مستني دوره في الكشف

صمت قليلًا لأتأمل ردة فعل المرضى .. وجدت أن الهدوء بدأ يسود بينهم وبدأت الجمل في التناثر من نوعية " والله عندهم حق في اللي

بيعملوه ده .. أنا كل ما آجي عشان أركب وسيلة منع حمل يقولولي ما فيش ولسه ما جتش " .. و" أنا عاوز أحشي ضرسي بقالي سنتين وكل ما آجي يقولولي برضه ماكنة الحشو بايظة " .. و"طالما هيكشفوا علينا ببلاش وهيدونا كمان دوا نظيف من بره يبقى ربنا معاهم وينصرهم على الظلمة دول " .. أما أطرف تعليق سمعته فكان " والله ووفرنا ثمن التذكرة وهأكشف واخد دوايا بلوشي "

أكملت حديثي وسط المرضى قائلا :

-يلا يا جماعة ضبطوا كده نفسكم ورتبوا بعض حسب الي جه الأول ولما أقول رقم واحد يدخل يتفضل عشان يكشف

أنهيت حديثي لأجد المرضى يقومون بالدعاء لي ولوالدي .. قبل أن أدخل عيادتي ألقيت نظرة على زينات الخرايرجي وهي تصعد إلى مكتبها وفحيحها الغاضب يصل إلى مسامعي

***

أفعى المياه الخفية

في المعتاد لا تهاجم تلك الأفعى البشر ولكنها قد تفعلها عندما تشعر بخطر أو تهديد يحيط بها

على الرغم من وداعة شكل تلك الأفعى إلا أن لدغتها مؤلمة للغاية وقد تكون مميتة

لذا حاول أن لا تكون مصدر تهديد لها

حالة ولادة

نوبتجية جديدة في مركز صحة الأفاعي

ما زال الإضراب العام والذي أقرته النقابة مستمرًا ومازالت وزارة صحتين وعافية تعيش في دور الأطرش في الزفة متجاهلة تنفيذ مطالب الأطباء .. كنا نقوم بالكشف مجانًا على المرضى ونقوم بإعطائهم العلاج المجاني والذي وفرته لنا النقابة دون جعل المرضى يقومون بقطع تذاكر مجانية أو اقتصادية .. كان هدف النقابة هو إيقاف مورد من موارد الوزارة دون تعطيل الخدمة أو إلحاق الضرر بأي مريض .. لعبة القط والفأر المستمرة بين النقابة والوزارة والتي لن تنتهي قريبًا أبدًا

استمرت دكتورة زينات الخرايرجي وعزيزة فرحان ونهير فوزي وإلحاد شفيق يا راجل في تأليب المرضى على الأطباء ومحاولة جعل المرضى يقومون بالاعتداء الجسدي على الأطباء في عياداتهم ولكن محاولاتهم باءت بالفشل باستثناء مشاجرة واحدة فقط حدثت بين طبيب أسنان اسمه أكمل على ما أتذكر وأحد المرضى حيث قام المريض بسب أكمل بوالدته فما كان من أكمل إلا أن يقوم بشج رأس المريض .. عمومًا انتهت المسألة على خير في النهاية وقام المريض بمراضاة أكمل ودماؤه تسيل على وجهه وملابسه

مرت فترة النوبتجية بسلام كالمعتاد .. لم يأت أي مريض .. دكتورة نورين طبيبة الأسنان انصرفت مبكرًا بعد إنهاء حالاتها حتى تقوم بإحضار أطفالها من مدرستهم .. ظللت في غرفة الطوارئ بصحبة مدام رحمة المبتهل التمريض التي برفقتي في النوبتجية حتى أعلنت عقارب الساعة مجيء السادسة مساءًا ليدخل علي المركز أول مريض في النوبتجية في تاريخي بمنطقة الأفاعي الطبية

رجل قوي البنية مفتول العضلات يبدو من ملامحه أنه في أواسط الثلاثينات يحمل امرأة حامل من المؤكد أنها زوجته والمرأة تصرخ وعلى وشك الولادة !!

تقدم الرجل مني وهو يقول :

-دكتور .. الحقني .. مراتي بتولد وأنا لوحدي وما فيش حد يلحقني

قمت سريعًا من مقعدي واتجهت للرجل وأنا أقول له :

-اهدى بس يا فندم ووحد الله .. هي المدام في الكام دلوقتي

حاول الرجل أن ينظم أنفاسه وهو يجيبني قائلا :

-هي في الأسبوع الثالث من التاسع والمياه بدأت تنزل عليها من نص ساعة تقريبًا .. رحت مستشفى الأفاعي المركزي ما لقيتش مكان هناك ولا في أي مستشفى خاصة فالناس قالولي إن في كشك ولادة هنا

أجبته سريعًا :

-أيوه فعلًا في كشك ولادة هنا بس مش للولادة الأولى ده لل.....

قاطعني مسرعًا :

-ومين قال لحضرتك يا دكتور إن دي أول ولادة .. إحنا عندنا أربع بنات ربنا يخليهوملنا .. دي الولادة الخامسة والسونار بيقول إنه ولد يا دكتور

صمت ثانية قبل أن أقول :

-أيوه حضرتك بس مفيش دكتور نساء وتوليد هنا وأنا مش تخصص نساء وتوليد برضه .. أنا عمري ما ولدت قبل كده

وجدت الرجل يقترب مني ويمسك كتفي في تضرع حقيقي ويقول :

-أبوس إيدك يا دكتور حاول تولدها .. زي ما انت شايف دي تعبانة ومش هتستحمل للصبح هتكون هي والواد راحوا فيها .. أنا تحت أمر حضرتك في أي فلوس إن شالله أدفع مليون بس مراتي تقوم بالسلامة هي والولد

قلت له:

-طيب بص حضرتك أنا هأكشف عليها الأول أشوف عنق الرحم فتح لحد كام سنتي وعلى أساسه هناخد قرار الولادة.

قمت بالكشف على السيدة لأجد أن عنق الرحم مفتوح على آخره تقريبًا وأحسست برأس الطفل تخبط في أطراف أصابعي .. أخذت أتصبب عرقًا من التوتر وأنا لا أدري ما أفعل .. التفت إلى الرجل وقلت له :

-هي في حالة ولادة فعلا وأنا حاسس برأس الطفل نازلة في الحوض

أمسك يدي وحاول أن يقبلها وهو يقول :

-أبوس إيدك يا دكتور لو لقيته مفتوح كويس ولدها تحت مسئوليتي .. أنا متحمل كل حاجة .. أنا مستبشر بيك خير والله وبإذنه كل حاجة هتبقى تمام

سحبت يدي سريعًا من يد الرجل قبل أن يقبلها ويحملني وزره .. حسمت أمري سريعًا والتفت لمدام رحمة وسألتها :

-مدام رحمة .. حضرتك وقفتي في عمليات ولادة قبل كده ؟

أجابتني وهي مرتبكة :

-مرة واحدة بس يا دكتور رامز بس عارفة الخطوات يعني

قلت لها في سرعة :

-خلاص .. يلا نتوكل على الله .. افتحي أوضة العمليات فوق وابدأي جهزيها وجهزي المريضة

التفت للرجل وأنا أكمل :

-وانت خد مراتك واطلع مع المدام وأنا وراك

لم ينتظر الرجل ثانية وأسرع الخطى خلف مدام رحمة وهو مازال حاملًا زوجته ويمني نفسه بمرور الدقائق القادمة على خير

وصلت كشك الولادة بالأعلى .. ارتديت الجاون الطبي وتعقّمت جراحيًا استعدادًا للولادة ووقفت أمام المرأة والتي كانت تحاول جاهدة كتمان صرخاتها .. نجحت في بعض الأحيان ولكن في أكثرها كان صوت صرخاتها كالموسيقى التصويرية في خلفية كشك الولادة .. أخذت أراجع في عقلي كل معلوماتي عن عملية الولادة .. أخذت أحدث نفسي في صوت منخفض قائلًا :

-ما تقلقش .. كله هيعدي على خير إن شاء الله .. خد بس نفس عميق وسمي بالله والدنيا هتمشي كويس .. ما تخافش انت بس يا رامز وسيب الحكاية على ربنا

وجدت زوج المرأة يقاطعني قائلًا :

-أنا مش خايف يا دكتور ولا اسمي رامز

نظرت له وأنا أقول في حدّة :

-يا عم أنا مش بأكلمك انت أصلا أنا بأكلم نفسي .. بتدخل معايا ليه دلوقتي .. خليك بره لحد ما ربنا يسهل وأجيبلك ابنك

خرج الرجل وسط ضحكات خفيفة لم تستطع رحمة كتمانها .. اتجهت ناحية المرأة وبدأت في توليدها

طلبت من المرأة أن تساعدني وتقوم بالدفع جيدًا .. لم تدخر المرأة جهدًا وبدأت في الدفع حتى ظهرت رأس الطفل أمامي .. تأكدت من عدم التفاف الحبل السري حول عنقه وطلبت منها الاستمرار في الدفع حتى خرج الطفل وأصبح في يدي وتأكدت من علاماته الحيوية الظاهرية .. قمت بقطع الحبل السري قبل أن أعطي الطفل لرحمة لتقوم بتدفئته وتنظيفه ولفه في الأغطية وتعطيه لأمه ثانية

يا إلهي ما هذا الذي حدث منذ لحظات .. لقد قمت بتوليد امرأة ونجحت في ذلك الأمر .. يا له من إحساس جميل .. أعلم جيدًا أن الأطفال لا يرون في بداية حياتهم ولكنني أقسم أن هذا الطفل قد ابتسم لي عندما رآني .. لا أعلم حقًا .. ولكنني فعلًا أشعر بسعادة غامرة

خرجت لأجد الزوج في انتظاري .. بشرته بأن عملية الولادة تمت على خير وأن الطفل مع والدته بالداخل .. وجدته يحتضنني في قوة ويشكرني على ما فعلته معه قبل أن يدخل مسرعًا للاطمئنان على زوجته وابنه

ذهبت إلى حجرة سكن الأطباء حتى اغتسل من عملية الولادة .. بعد أن انتهيت هبطت مرة أخرى لغرفة الطوارئ .. وبعد قرابة الساعة وجدت سيدة كبيرة في العمر تدخل علي الغرفة وهي تسألني لاهثة :

-بنتي فين يا دكتور .. هي ولدت بجد

أجبتها وقد خمنت أنها والدة المرأة التي قمت بتوليدها منذ قليل :

-أه يا حاجة ولدت .. جابت ولد زي القمر .. هي فوق دلوقتي مع جوزها

شكرتني المرأة وانطلقت مسرعة في اتجاه ابنتها وحفيدها .. يبدو أن تلك العائلة كانت تحترق شوقًا لانجاب الابن الذكر .. ملامح الأب وردة فعل الجدة كل تلك علامات تؤكد ما أقوله .. للأسف ما زلنا في مجتمع يفرق بين الذكور والإناث .. لا يعلم أحد منهم أن هناك من يتحرق شوقًا لظفر طفل ولا يهم إن كان ذكرًا أم أنثى .. صمت لثانية قبل أن أقوم بالدعاء أن يرزق الله كل من تريد إنجاب طفل بمن يقر عينها

وجدت الرجل أمامي وهو يحمل زوجته بينما كانت الجدة تحمل حفيدها في حب شديد .. قمت مسرعًا وأنا أقول :

-انتوا رايحين فين .. المدام مفروض ترتاح شوية عندنا قبل ما تروّح

أجابني الرجل :

-هترتاح في البيت يا دكتور .. احنا ساكنين جنبكم هنا في آخر الشارع واهو الحاجة جت من البلد وهتقعد معاها

عرفت في تلك اللحظة أنه لن يستمع لأي كلمة مني .. زوجته أنجبت له الولد ويريد أن يتواجد في بيته ويدعو والدته حتى تأتي وترى الابن الذي تتمناه وظلت تدعو له في صلواتها به ففضلت عدم الخوض في حديث لا طائل منه .. فقط قلت له :

-بص مش هأتكلم كتير .. على راحتك .. تعالى بس بكرة عشان نعملك إخطار الولادة من هنا ونطلعلك شهادة الميلاد

وجدت الرجل يحتضنني مرة أخرى وهو يشكرني قبل أن يضع يده في جيبه ويخرج رزمة ضخمة من الأوراق المالية كانت كافية لعملية الولادة في أي مستشفى خاصة ويقوم بدسها في جيب معطفي الطبي .. انزعجت جدًا مما فعله وأخرجت النقود وأنا أعطيها له وأقول :

-ما ينفعش اللي حضرتك بتعمله ده .. أنا ما أعرفش تكاليف الولادة هنا كام لأننا تقريبًا عمرنا ما جاتلنا حالات ولادة في المركز .. ممكن بكرة حضرتك تسأل الدكتورة تقى وهي بتعملك إخطار الولادة وتدفعهم في الخزنة وتاخد بيهم وصل

حاول الرجل أن يمسك يدي وهو يقول في صدق :

-يا دكتور اعتبرهم حلاوة الواد

أجبته مبتسمًا :

-ما ينفعش اللي حضرتك بتقوله ده يا فندم برضه .. ألف مبروك وربنا يخليهولك ويطرحلك فيه البركة .. ما تنساش بس تجيبه معاك بكرة عشان ياخد الجرعة الكبدية الصفرية وجرعة شلل الأطفال الصفرية كمان

نظر الرجل لي شاكرًا قبل أن يلتفت إلى مدام رحمة وهو يناولها النقود ويقول :

-يبقى خديهم انتي يا وش السعد .. قسمًا بالله ما هم راجعين

حاولت رحمة أن ترفض إلا أنني قلت لها :

-خلاص يا مدام رحمة ما تكسفيش الراجل .. الراجل بيعبر عن فرحته وانت تعبتي أوي معانا في الولادة

أخذت رحمة منه النقود ووضعتها في جيبها .. قام الرجل بتوجيه الشكر مرة أخرى وعيناه مملوءة بدموع الامتنان قبل أن يرحل مع زوجته ووالدتها ونلحق بهم أنا ورحمة بعد دقائق عند حلول موعد الانصراف الرسمي من المركز

في اليوم التالي وبمجرد دخولي مكتب دكتورة تقى لتوقيع الحضور في الدفتر وجدت دكتورة زينات الخرايرجي وبصحبتها دكتورة نهير فوزي بداخل المكتب وتتحدثان بشكل منفعل .. لم أعرهما انتباهًا ولم أتوقع أن تكونا متواجدتين لسبب يخصني .. ألقيت التحية بشكل عابر دون أن أكترث لوجودهما .. وقعت وأخذت طريقي للخروج من الغرفة والذهاب لعيادة الباطنة قبل أن أجد زينات تقول لي :

-إيه اللي حصل امبارح ده في النباطشية يا دكتور رامز

التفت لها وأنا اقول :

-إيه اللي حصل يا دكتورة

التقطت نهير طرف الحديث منها وقالت :

-سمعنا إن حضرتك ولدت واحدة امبارح هنا في المركز .. ودي مخالفة إدارية خطيرة .. حضرتك مش أخصائي نسا عشان تعمل كده .. ده غير إن ما فيش فلوس مثبت إنها اتدفعت نظير الولادة يعني مخالفة مالية ثانية .. ممكن ولاد الحرام يقولوا إن حضرتك كنت شغال الحالة دي برايفت في النباطشية وده زي ما حضرتك عارف طبعًا مصيبة

نظرت لهما وقد تجلّت الحقيقة أمامي .. بطريقة أو بأخرى وصل الخبر إلى هاتين الامرأتين ووجدتا أمامهما الفرصة سانحة حتى تقوما بإمساك خطأ جسيم عليّ .. لم أكن أعلم صحة ما تدعياه فلذت بالصمت وأخذت أفكر في مخرج من هذا الأمر المعقد قبل أن أجد صوتًا ينطلق من خلف ظهري ويقول بحدّة مرتفعة :

-ومين قالكم يا دكاترة إن دكتور رامز ولد حد امبارح ؟التفت لأجد تقى ورائي وبصحبتها رحمة الممرضة التي عاونتني في عملية الولادة بالأمس .. نظرت لي تقى قبل أن تكمل حديثها قائلة :

-أنا يا دكاترة اللي ولدت الحالة دي امبارح .. دكتور رامز كان نباطشية ولما جتله الحالة كلمني عشان هو عارف إني أخصائية أولًا ومديرة المركز ثانيًا وهو مش أخصائي نسا ثالثًا فنزلتله على طول من بيتي وولدت الست أنا ورحمة

التفتت تقى لرحمة عند تلك اللحظة وهي تقول :

-مش كده يا رحمة ولا إيه ؟

أجابتها رحمة مبتسمة :

-طبعا يا دكتورة .. ده حتى حضرتك ما خدتيش وقت في توليدها .. أستاذة طول عمرك يا دكتورة تقى

نظرت تقى مرة أخرى إلى زينات ونهير وهي تقول :

-بعد إذنكم بقى يا دكاترة عشان أقعد على دفتر حضور مركزي .. على فكرة ممكن لو واحدة من حضراتكم مرور النهاردة على المركز تفضل مستريحة كإشراف فني فقط على عملية التوقيع دون التدخل في كيفيتها

قالت تقى كلمتها بهدوء شديد وقامت بتجاوزهما سائرة إلى مكتبها لتجلس عليه .. أحسست بالحرارة تتصاعد من وجهي المرأتين .. من المؤكد أنهما قضيتا كل الليل وهما تدبران ما ستفعلاه معي وها هي تقى تقوم بسهولة بتخريب خطتهما الشيطانية وإنقاذي من براثنهما .. من المؤكد أن كل ردود أفعالي على ما فعلتاه معي طيلة الفترة الماضية والتي اقتربت من العام كانت الحافز الأساسي لهما بالأمس وها هو ما

خططتا له يفشل وسير أمام أعينهما رمادًا بفضل تقى .. لم تمكث المرأتان كثيرًا وغادرتا الغرفة فاتجهت سريعًا نحو تقى وأنا أقول :

-دكتور أنا مش عارف أقول لحضرتك إيه بجد .. شكرًا

نظرت لي في ود وقالت :

-شكرا على إيه بس يا رامز .. تسلم إيدك انت على امبارح .. دكتور شاطر والله .. باطنة وأطفال ونساء .. ده انت ولا جوكر الكوتشينة

ضحكت على دعابتها فأكملت :

-سيبك من كلام النسوان دول .. ما فيش مخالفات لا إدارية ولا مالية في اللي انت عملته .. دي حالة طارئة وانت اتصرفت معاها بمهارة وأنقذت الأم وطفلها .. أنا بس ما حبتش أوجعلك راسك بكلام كتير ما لوش فايدة معاهم فدخلت أنا في الليلة عشان أخلصها بعد رحمة ما حكيتلي وقابلت أهل الولد تحت .. فاهمني

أومأت برأسي بالإيجاب قبل أن أسمع طرقات على الباب .. التفت لأجد زوج المرأة التي ولدتها بالأمس وهو يحمل شهادة ميلاد غير مختومة .. ما إن رآني حتى أسرع ناحيتي وهو يسلم علي بحرارة ويقول :

-أجدع دكتور في المنطقة كلها والله

أجبته :

-ربنا يخليك يا فندم .. طعمت الولد ؟

أجابني مسرعا :

-آه طعمته الحمد لله ومدام فهيمة عملتلي الإخطار وشهادة ميلاده معايا أهه ناقصة على الختم والإمضاء بتاعت الدكتورة تقى مديرة المركز

قلت له :

-يلا ألف مبروك وربنا يخليه ليك ويطرحلك فيه البركة

وجدت الرجل يسألني :

-حضرتك مش هتسألني سميت الولد إيه ؟

سألته مبتسما :

-سميته إيه يا ترى ؟

أجاب الرجل مبتسمًا :

-رامز طبعا على اسم اللي كان سبب بعد ربنا سبحانه وتعالى في وجوده

ابتسمت بشدة من موقف الرجل النبيل وطردت من ذهني ما حدث منذ لحظات من زينات ونهير ومحاولتهما إلحاق الأذى بي

سأتذكر دوما أن أول طفل قمت بتوليده تم تسميته على اسمي

رامز

***

أفعى الشجرة الخضراء

من أكثر الأفاعي شهرة في العالم بسبب ألوانها الرائعة

دائما ما تعيش تلك الأفعى على الأشجار بعيدة ومتوارية عن الأنظار

لا تنخدع بكونها غير سامة فأنيابها تمكنها من تقطيع أي فريسة تقع تحت براثنها

احتفال وصاعقة

عام كامل مضى على وجودي في منطقة الأفاعي الطبية

عام كامل مضى على ذهابي إلى دكتور باهر العميد أحد كبار رجال وزارة صحتين وعافية لأطلب منه نقلي من منطقة الجرابيع الطبية حيث أتى تكليفي في البداية لمنطقة قريبة من محل سكني فكانت منطقة الأفاعي الطبية

عام كامل مضى على لقائي بأصدقاء جدد صاروا أكثر من الإخوة وأقصد بكلامي تقى وديانا وأحمد ومايا

عام كامل مضى على صراعات في العمل ومحاولات لإلحاق الأذى بي من قبل مديري الإدارات الطبية المختلفة وأقصد بكلامي دكتورة زينات الخرايرجي ودكتورة نهير فوزي ودكتورة إلحاد شفيق يا راجل

عام كامل مضى على صراعات دينية وسياسية كانت وفي الحقيقة بمذاق لذيذ وممتع مع دكتور إسحاق عبد ربه

عام كامل مضى على موقعة الحمام الثانية والتي كانت من بطولة أغاني جمال الدين ومايا ناصر في عيادة الأسنان

عام كامل مضى على محاولات جميع من في المنطقة تزويجي وترشيح العديد من الفتيات لي كزوجات وما زلت كما أنا عازبًا لم أتزوج بعد

عام كامل مضى على تحطم أمنياتي وطموحاتي كطبيب حديث التخرج في بداية مستقبله المهني وبدلًا من أن يكون تركيزي منصبًّا على كيفية تطوير المنظومة الصحية في بلادي أصبح جلّ تركيزي هو الحضور مبكرًا حتى أوقع في دفتر الحضور والذهاب إلى عيادة الباطنة وارتداء البالطو الأبيض والآي دي والانتهاء من الكشف على المرضى في

الفترة المجانية ثم الجلوس بلا عمل بعد ذلك حتى أوقع في دفتر الانصراف

عام كامل مضى وما زلنا في انتظار صرف بدل التعب والإعياء

عام كامل مضى وما زالت فادية الرهوان تتحين الفرص لخصم الأموال من مرتبات الأطباء وحسام المدمن يقون بعمل دشني مفاجئ بناء على توجيهات المديرين المساعدين ومنعم الأرندلي ما زال يتقاضى نقودًا مقابل عمليات غير مشروعة

عام كامل مضى على تحولي من طبيبٍ بشري إلى موظف في وزارة صحتين وعافية ليس له علاقة بالطب من قريب أو من بعيد

لذلك وبمناسبة صمودي لفترة العام في منطقة الأفاعي الطبية أصر أحمد وديانا ومايا على الاحتفال بي .. قامت مايا بتجهيز تورتة ضخمة مرسومًا عليها حاوي وهو يلاعب الأفاعي .. أخبرتني أنها لم ترني أو تتخيلني في صورة غير صورة الحاوي

للمرة الأولى منذ عام ألاحظ ذلك الرابط

أنا بالفعل حاوٍ ماهر يتعامل مع مجموعة من الأفاعي المختلفة

مجموعة من الأفاعي يريدون من الجميع أن يخضع لهم ويقدم فروض الولاء والطاعة في الصواب والخطأ كما فعلوا من قبل مع مديرتهم السابقة

مجموعة من الأفاعي لا يريدون التعامل مع من هو أفضل منهم رؤية في العمل أو من يمتلك كرامة وعزة نفس يفتقدونها في تعاملاتهم

مجموعة من الأفاعي يبتسمون في وجهك وهم يترصدون اللحظة المناسبة للهجوم عليك من الخلف وغرس أنيابهم السامة في عنقك

مجموعة من الأفاعي لا يريدون رؤية شخص محبوب في المنطقة من دون أن تكون لهم به علاقة أو صلة

مجموعة من الأفاعي تحركهم أحقاد طبقية وسياسية ودينية فبدلًا من أن نتعلم سياسة الاختلاف وتقبل الآخر أصبحنا نحيا في ملعب للصراعات من كل لون

أنا بالفعل الحاوي الماهر والذي استطاع ملاعبتهم وترويضهم بعض الشيء منذ مجيئه للعمل معهم .. معرفتي بقوانين العمل ولائحة النظام وعلاقتي الجيدة مع دكتور باهر العميد والذي صار وكيلًا لوزارة صحتين وعافية في حركة التعديل الوزاري الأخيرة في البلاد كانتا أهم عاملين في أخذ هذا الموقف مني من قبل البعض .. كنت أتساءل ماذا لو علموا من هي عائلتي ووضعي أنا الشخصي في الحزب العريق الذي أنتمي إليه .. ماذا كان سيحدث لي حينها أكثر مما تعرضت له واستطعت بفضل الله ورعايته في المقام الأول على النجاة من كل مشكلة ومأزق واجهتهما ؟؟

بعد نهاية فترة العمل المجانية ذهبت ديانا بصحبة مايا لمحل الحلويات الشهير بكمباوند الصفوة حيث أقطن وقامتا بإحضار التورتة والتي أوصت عليها مايا منذ اليوم السابق .. في الوقت ذاته ذهب أحمد للماركت الكبير المتواجد في نهاية الشارع الذي يقع فيه مركز صحة الأفاعي وقام بإحضار المشروبات الغازية والأطباق والشوك البلاستيكية .. وأصرّ أيضا على إحضار عدد من البالونات والزينة لزوم الاحتفال الخاص ببقائي على قيد الحياة في منطقة الأفاعي الطبية حسب قوله !!!

تجمعنا في عيادة الباطنة بعد إحضار كل شيء وقبل أن أقوم بالاتصال بدكتورة تقى لأدعوها مشاركتنا الاحتفال وجدت تارا سكرتيرتها تدخل علينا الغرفة وتقول :

-دكتور رامز .. دكتورة تقى عاوزة حضرتك حالًا في مكتبها

استأذنت من ديانا وأحمد ومايا للحظات حتى أرى لماذا تريدني تقى ثم أحضرها معي بعد ذلك لنقوم بقطع التورتة

وصلت مكتب دكتورة تقى وطرقت باب الغرفة قبل أن أدخل لأجد الغرفة أصبحت شبيهة بغرفة عمليات الحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية وقبل إنزال القوات في برلين

دكتورة عفت إسماعيل نائبة الدكتورة تقى والتي هي دائمة الشكوى من جحود وعقوق الجيل الجديد ودكتورة زينات الخرايرجي مديرة إدارة الأساس والمتانة ودكتورة نهير فوزي مديرة إدارة خد البزة واسكت ودكتورة إلحاد شفيق يا راجل مديرة إدارة خلوا بالكم .. الثلاثة الكبار كما كنت أطلق عليهم دائمًا .. الغريب أن مدام فهيمة رئيسة التمريض ومدام خوخة المسئولة عن عيادة الباطنة كانتا أيضا متواجدتين في ذلك الاجتماع

ألقيت التحية على الجميع قائلًا :

-صباح الخير جميعًا .. حضرتك كنتي عاوزاني يا دكتورة تقى

أشارت لي دكتورة تقى بالجلوس وهي تقول :

-صباح النور يا دكتور رامز .. اتفضل اقعد

جلست أمامها قبل أن أجدها تنظر في ورقة موضوعة أمامها ثم تلتفت إليّ وتقول :

-دلوقتي يا دكتور رامز في بعض الناس مقدمين في حضرتك مذكرة رسمية إن حضرتك دائم العصبية في العمل ودائم الرد بأسلوب غير لائق مع مديريك ومش مراعي فرق السن أو الأقدمية ما بينكم .. كمان

التمريض متضامن في الشكوى وبيقول إنك دايمًا بترهقهم في فترة الشغل بطلبات كثيرة

صمتت برهة ثم أكملت بنبرة شعرت فيها بشيء من السخرية :

-ومدام خوخة بتقول إن حضرتك ودكتورة ديانا لما بتطلبوا أكل ما بتعزموش عليها

كتمت ضحكاتي الشديدة واكتفيت برسم ابتسامة باهتة على وجهي وأنا أنظر لتقى التي أكملت حديثها قائلة :

-إيه ردك يا دكتور رامز على المذكرة دي .. الدكاترة والتمريض مقدمينها ليا عشان أحقق فيها وارفعها بعد كده لو ثبت صحة الموجود فيها للدكتورة مديرة عام المنطقة وبعد كده تتبعت لوزارة صحتين وعافية

صمت لثانية وأنا أفكر .. هذا هو إذا الخازوق الجديد المجهز لي من قبل الثلاثة الكبار .. كان الغريب في الأمر هو تضامن التمريض معه .. وجهت نظري نحو الثلاثة الكبار وقلت :

-ردي بسيط يا دكتورة تقى .. هذه الاتهامات أنكرها جميعا .. أنا عمري ما كنت عصبي بس ما حدش يتعامل معايا باستفزاز مبالغ فيه ويحاول تصيد أخطاء ليا مش موجودة ويقول عليا عصبي لما انفعل عليه في حدود الأدب والكياسة .. وكمان أنا عمري ما رديت على حد بطريقة مش كويسة أو أهنته على الرغم من إن الحد ده ممكن يكون هددني أو توعدني بالتحقيق أو الجزاء بالأمر المباشر أو النقل التعسفي وعمري ما رفضت شغل حد طلبه مني وحضرتك تشهدي يا دكتورة تقى لما بتحتاجي دكتور رامز الدروي في أي مكان بتلاقيه وبيعمل شغله على أحسن وجه .. وأنا بطلب من حضرتك تجيبي لائحة جزاءاتي الفترة اللي فاتت هتلاقيني الدكتور الوحيد في المركز بل في المنطقة كلها اللي

ما أخدش جزاء أو حتى لفت نظر ده غير إن إحصائيتي الشهرية بتثبت إني أكتر دكتور بيشتغل مش في المركز بس .. لأ .. في منطقة الأفاعي الطبية كلها

حولت نظري ناحية مدام فهيمة ومدام خوخة وأكملت قائلًا :

-أما بالنسبة لحكاية إن بأرهق التمريض بطلباتي في الشغل .. هل أنا طلبت حاجة خاصة بيا ؟ هل طلبت من أي حد معايا غير إنه ينضف السرير مثلًا ما بين كل عيان والثاني .. دي بديهيات مكافحة العدوى يا جماعة .. أما حكاية إني ما بأعزمش على مدام خوخة لما بجيب أكل أنا وديانا فمدام خوخة أصلًا بتسيب العيادة أول الساعة ما تيجي حداشر ونخلص فترة الكشف المجاني وتروح تفطر مع زمايلها في أوضة متابعة الحوامل وبتسيبني أنا وديانا في فترة الكشف الاقتصادي لوحدنا ولما بتيجي العيادة عشان تحط مياه في الكاتل عشان يشربوا حاجة بتشوفنا بناكل والله يا دكتورة تقى بنقولها اتفضلي وبجد مش عزومة مراكبية والسلام وهي بترفض لأنها بتكون لسه فاطرة مع زميلاتها على حسب كلامها

صمت والتقطت نفسًا عميقًا وأكملت قائلًا :

-بصوا يا جماعة أنا عارف إن كل اللي هنا مش طايقني لاعتبارات مختلفة لكل واحد ودي حاجة ما تهمنيش ولا تفرق معايا .. اللي يهمني إن الشغل ما يتأثرش بالمشاكل الشخصية وإن ما حدش ييجي عليا عشان ما حدش يزعل بعد كده من اللي ممكن أعمله .. احنا في دولة بيحكمها قانون عمل مش ميغة هي ولا عزبة .. أنا عمري ما غلطت ولا هأغلط في حد بس اللي يحاول يأذيني في شغلي ما يلومش غير نفسه

صمت ونظرت لتقى لأسمع ردها على ما قلته .. وجدتها تفتح درج مكتبها الخاص وتلتقط ورقة مطوية منه .. فتحت تقى الورقة وقرأتها في سرها قبل أن ترفع رأسها وتنظر لنا قائلة :

-بصوا يا دكاترة ويا مدامات .. أنا عارفة كل واحد هنا في المركز بيفكر ازاي وبيبص لغيره ازاي وبيعمل ايه سواء في سره أو في العلن

صمتت والتفتت للثلاثة الكبار وقالت :

-يا دكاترة .. حضراتكم مديري ثلاثة من أكبر الإدارات الطبية في المنطقة .. هل باستثناء اللي مكتوب في المذكرة دكتور رامز عمل مشكلة في شغله .. زوغ مرة .. ما رضيش يشتغل زي غيره ما عمل قبل كده وما حدش كلمه .. ما حضرش نباطشية

ساد الصمت على وجوه الثلاث مديرات لتلتفت تقى إلى التمريض وتكمل :

-حصل يا مدام فهيمة إنه طلب منك مثلا تعمليله شاي .. أو تجيبيله حاجة من تحت يا خوخة زي ما غيره بيطلب وانتوا بتعملوله .. الراجل بيطلب حاجات في الشغل عشان ما حدش من العيانين يلقط عدوى من عيان ثاني .. صح كده ولا إيه ؟ بيراعي ربنا في شغله .. إيه اللي مزعلكم في كده ؟

خيم الصمت على غرفة دكتورة تقى تمامًا .. صمتت هي الأخرى وشردت بعينيها وكأنها تفكر في أمر ما قبل أن تقول :

-من المصادفات الغريبة إن الوزارة النهاردة تبعتلي المنشور ده

أشارت لهم بالورقة في يدها وهي تكمل حديثها :

-طالبين مني إني أوفر طبيب بشري يكون مسئول عن مراقبة العدوى في المركز ويكون متفرغ تمامًا للمهمة دي .. وبناء على الطلب

ده من الوزارة فأنا خدت قرار هيريح الكل هنا وهيدي كل واحد حقه ووضعه

وقفت تقى أمام الجميع وهي تقول :

-أقدملكم دكتور رامز الدروي مسئول مراقبة العدوى الجديد بمركز صحة الأفاعي

صعقت من مفاجأة تقى ونظرت إليها في ذهول قبل أن تُلقي قنبلتها الأخيرة وتكمل قائلة :

-ونائب المدير

****

نهاية الجزء الأول

ديسمبر 2018